ملامح التَّساهُل اللُّغوي عند الشاعر المَهْجري

إيليا أبي ماضي

د / هدى فتحي عبد العاطي

الأستاذ المساعد للنحو والصرف

كلية العلوم والآداب ببريدة

جامعة القصيم

ملامح التَّساهُل اللُّغوي عند الشاعر المَهْجري

إيليا أبي ماضي

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، والحمد لله ربّ العالمين ، أحمده أبلغ الحمد ، وأكمله ،وأزكاه ،وأشمله، وأُصلّي على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين و بعد ،،،

فإنَّ موضوع هذا البحث ملامح التَّساهُل اللُّغوي عند الشاعر المـــَهْجري إيليا أبي ماضي ، ولا يتصل هذا البحث بدراسة العُدول عن المألوف ، أو عمَّا توافق عليه النُّحاة في استخدام اللُّغة إلى غير المألوف ، إنَّما يتعلَّق بدقة استخدام النَّمط المــِعْياري ، وذلك بالكشف عن درجة توافق استعمال الشاعر مع ما أقرَّه النُّحاة من قوانين .

ومن المعروف أنَّ لغة الأدب يُفترض بها أنْ تُظْهر التميُّز لأنَّها" لغة فردية خاصة ، تصدر عن اختيار واعٍ ، ومِنْ ثَمَّ كانت خروجا عن النمط المعياري **Deviation from the norm** ، ومِنْ هُنا أيضا كان قول القائلين بأنَّ الأسلوب هو الرجل ، أو بأنَّ الأسلوب كبصمات الإنسان . على أنَّ هذا الخروج عن النمط العادي ينبغي ألَّا يُؤخذ ضربة لازب لأنَّ اللُّغة العادية التي يدرسها علم اللُّغة إنَّما تُقدِّم العناصر العامة في لغة الحياة ، ولا تنفصل عنها لغة الأدب ، لكنَّها تقيم معها علاقة خاصة باستخدام عناصرها نفسها لبناء هياكل جديدة خاصة بها مضيفة إلى اللغة قواعد جديدة في الصوت وفي الكلمة وفي تركيب الكلام أي أنَّ لغة الأدب – بمعنى آخر – تكشف عن الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة العادية والتي لا تظهر إلا باستخدام الفرد لها استخداما متميِّزا . " [١]

وفردية لغة الأدب وخروجها عن النمط المعياري وإضافتها لقواعد جديدة كلّ أولئك لا يُقْصَد به أنَّ لغة الشعر تُدْرَس في نطاق الانحراف عن قوانين اللُّغة المـِعيارية وحسب ؛ فالانحراف عن هذه القوانين يدرس بعض الظَّواهر اللُّغوية في النَّص الشِّعري وليس جميعها " فالنَّص الشِّعري – إذن – لا يُمَثِّل مجرَّد خرق لقوانين نظام آخر (لغة النثر أو غيرها) ، ولا يُمكن أن يظلّ عبر جميع مكوِّناته انتهاكا أو انحرافا عن معيار ، أو أنْ يُصبح ما فيه من انتهاكات هو الجدير وحده بصفة الشِّعرية والموافق لقوانين اللُّغة العادية غير شعري . " [٢]

---

[١] د/ عبده الراجحي : علم اللغة والنقد الأدبي " علم الأسلوب " : ص ١١٧ ، فصول مجلة النقد الأدبي ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، ١١٥- ١٢٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ربيع أول ١٤٠١ه / يناير ١٩٨١م .

[٢] شكري الطوانسي : مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبو سنة دراسة في بلاغة النص ، ص ١٩٠، ١٩١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .

كما أنَّ كشف لغة الأدب للطاقات التعبيرية الكامنة في اللُّغة العادية ينبغي أنْ يتحقَّق دون فساد اللُّغة والنحو ، فالبَوْنُ شاسعٌ بين كشف لغة الأدب عن الإمكانات التعبيرية للُّغة وبين أنْ تُنْعت عند بعض الشُّعراء بأنها لغةٌ غير مُنْضَبطة صرفا ونحوا ودلالةً ، وأنْ تتجاوزَ مظاهرُ عدمِ الانضباطِ المُخَالفاتِ المَقبولة التي تُسمَّى الضَّرورات الشِّعرية .

أسئلة البحث :

حين يُذْكَر اسم واحد من شعراء المَهْجَر تتصاعد أسئلة مِنْ نحو :

- ما أثر الانقطاع عن الأوطان في شعر المهْجَر ؟ وما موقف شاعرنا من النحاة ؟
- هل خلا شعره من الخطأ في الأبنية الصَّرفية على مستوى الصَّوْغ والاستعمال فلم يَعْدِل بها عن وجهها الصحيح ؟ أم أنَّه سيستخدم اسم الفاعل في موضع الصفة المُشَبَّهة ، ويُلْحِق التاء المربوطة بحرف الجرّ الشبيه بالزائد " رُبَّ " ، ويكسر همزة " أمَّن " التي هي فاء الفِعل على غير ما تجري به قوانين اللُّغة قياسا على جواز كسر همزة المُضَارَعة في الثُّلاثي .
- هل جاء شعره في لغةٍ فصيحة مُبَرَّأة من اللَّحْن تتجلَّى فيها قدرته على إحكام تراكيب اللُّغة أم أنَّه سيكسر همزة " إنَّ " حيثُ يجب أنْ تُفْتَح ، ويرفع ما وجهه النَّصب على الحالية ، ويستخدم " إنْ" الشرطية مكان "أنْ" المصدرية إلى غير ذلك من مظاهر التَّساهُل اللُّغوي ؟
- هل استخدم الشَّاعر ألفاظ اللُّغة في دلالتها الدَّقيقة أم حاد بها إلى غير ذلك ليفقد الشُّروط الضَّرورية لقيمة صدق الجملة أحيانا ، وليستخدم جموع القِلَّة في مواضع لجمع الكثرة فيها وجه ظاهر ؟
- أيَكُونُ السبيلُ الوحيد لمعالجة الشِّعر المهْجري هو تناوله بمقياس الصَّواب اللُّغوي والخطأ ؟ أيكون العثور على مستويات شديدة الرُّقي من الاستعمال اللُّغوي أو استعمالات نادرة هو طلب لما لا يُطمع فيه لاستحالته ، أم أن أعمالهم ستجهر بما يخالف هذا التصوّر في بعض جوانبه ؟

وفي النهاية هل تُصَدِّق نتائج القراءة اللغوية لأعمال هذا الشاعر على ما وُجِّه لتلك المدرسة من اتهامات بالتَّساهُل في ضَبْط اللُّغة وإتقانها ، وبوجودِ أغلاطٍ صرفيةٍ ونحويةٍ ودلاليةٍ أم ستدعو النتائج إلى التريّث في تلك الاتهامات وربما مهاجمتها وبَيَان أنها من جملة الأحكام الانطباعية ، وأنَّ ما يوجد في أشعارهم لا يخرج عن الضَّرورات الشِّعْرية التي تَظْهر عند الشُّعراء على مرِّ العصور ؟

سبب اختيار إيليا أبي ماضي :

إيليا أبو ماضي واحدٌ من أهم الشعراء الذين لا خلاف حول إسهام أشعارهم في تكوين ملامح المدرسة المـــَهْجرية ورسم أبعادها كما يعرفها الدارسون بمميزاتها وإخفاقاتها التي سيكون جزءٌ منها مَوضِعا للدَّرْس .

معيار تصنيف المآخذ التي تُشَكِّل ملامح التساهل اللغوي عند إيليا :

اتصل كثير من الباحثين بالأدب المهجري مُؤرخين له ، ومُتحدثين عن دوافع هجرة أدبائه وحياتهم وصحفهم ، وجامعين لذلك الأدب ، ودارسين لأغراضه واتجاهاته وخصائصه ويأتي الحديث عن لغته ضمن دراسة خصائصه الشَّكْلية والموضوعية ، أو في مقالات قصيرة ومِنْ هنا يحتاج هذا الأدب إلى قراءات لغوية تكشف عن حقيقة إخفاق شعراء المهجر في المواءمة بين المعاني الجيدة واللُّغة التي تُعَبِّر عن هذه المعاني بتجاوز قوانين هذه اللُّغة في غير ضرورة قاهرة .

وسوف أبدأ بمناقشة آراء الباحثين في قضية أثر الانقطاع عن الأوطان في لغة شعراء المهجر ، يأتي بعد ذلك توضيح موقف إيليا من النحاة ، ثم أقسِّم المسائل التي تجمع ما ظهر من أغلاطٍ أو تساهُل إلى صرفيةٍ ونحويةٍ ودلاليةٍ ، أبدأ بالمسائل الصرفية تليها المسائل النحوية ثمَّ المسائل الدلالية ، وفي كل قسم منها تُرتَّب المسائل حسب ورودها في أعمال إيليا دون النَّظر إلى قدر ورودها في شعره .

خطوات المعالجة :

أولا : أثر الانقطاع عن الأوطان في لغة شعراء المهجر.

ثانيا : موقف إيليا أبي ماضي من النحاة .

ثالثا : المسائل الصَّرفية التي يظهر فيها التَّساهُل اللُّغوي عند إيليا .

رابعا : المسائل النحوية .

خامسا : المسائل الدلالية .

أولا : أثر الانقطاع عن الأوطان في لغة شعراء المَهْجَر :

لا تخلو المسائل صغيرةً أو كبيرةً مِنْ أنْ تختلف الآراء حولها ، وفي قضية الانقطاع عن الأوطان اتجاهان : أحدهما يذهب أصحابه إلى أنَّ نَأْي الشعراء عن أوطانهم واستخدامهم لغات أخرى في حياتهم اليومية وبُعْدِهم عن مصادر اللُّغة الأصلية أضعف لغتهم وأفسدها ، ومعلوم أنَّ الانقطاع عن

الأوطان مَظِنَّة للتفريط في اللغة وتضييع الذات ، فإذا كان الوجود في الوطن يعمل على إحياء اللغة المنضبطة بالسَّقي والرِّي فإنَّ بُعْدَ العهد بالوطن يصيب اللُّغة الأصلية بالخَدر والذُّبول في ظلّ الازدواج اللُّغوي الحاصل الذي يترك أثره في لغة الكتابة عند الشعراء [١] ولكن ما معنى أنْ يكون الإنسان مُزْدَوج اللُّغة ؟

" لقد اعتاد اللُّغويون أمثال بلومفيلد (١٩٣٥م) منذ قُرابة قرن أنْ يصفوا ازدواجية اللغة على أنَّها إتقان لغتين والنطق بكلّ واحدة منهما كما يجيد الشخص التكلُّم بلغة واحدة . " [٢]

غير أنَّ إتقان اللغتين بالدرجة نفسها أمر يردّه الباحثون فاللُّغة الأصلية التي يتناقص استعمالها تتفلَّت شيئا فشيئا مِنَ المهاجر تقول بربارة عبد الإله : " إنَّ التوازنَ في ازدواجيةِ اللُّغة أمرٌ نادرٌ ، والسبب بسيط هو أنَّه في مجتمع أحادي اللغة لا تتوافر فعليا المناسبات لاستعمال هذه اللغة أو تلك بلا تمييز في كل مواقف الحياة اليومية . " [٣] و " ضرورة استعمال لغة واحدة ينطق بها الغالبية – شأن الشخص الأحادي اللغة – يُمكن أنْ تُضْعف المهارات في اللُّغة الأخرى ، وقد ينتهي الأمر بنسيانها إذا لم يكن استعمال اللغة يلبي حاجاتٍ فِعْلية . " [٤]

إنَّ ضرورةَ استعمال لغة البلد الأجنبي عقبةٌ يتعثّر فيها الشاعر المهجري ، وتحول دون احتفاظه بلغته نقيةً مُتقنةً يقول د/ محمد هدارة في تفسيره لضعف المستوى اللُّغوي عند شعراء المهجر : " وأهم العوامل التي هبطت بالمستوى اللغوي لشعراء المهجر هجرتهم في سنّ مُبكرة قبل أنْ تكتمل ثقافتهم اللغوية العربية ، يُضاف إلى ذلك وجودهم في جوّ أجنبي خالص لا يتحدثون فيه العربية إلا نادرا . " [٥] ويدعم هذا الاتجاه ما ظهر في شعر المهجر من تساهلٍ لغويٍّ ستظهر أمثلته لاحقا .

---

[١] أشار د/ جابر عصفور إلى أن غلبة الشعر على أدب المهجر استمرت إلى أن تغيَّرت طبيعة المهاجر ودوافع المهاجرين وكان ذلك مع نهاية الحرب العالمية الثانية " وقد واكب ذلك هجرة الكثيرين الذين ارتحلوا عن أوطانهم ... للعمل أو الدراسة وهو الأمر الذي جعل الكثيرين مزدوجي اللغة أو أحادي اللغة في حالات غير قليلة ووصل الأمر ببعضهم إلى نسيان الكتابة باللغة الأم أو عدم إتقان الكتابة بها خصوصاً بعد أن أصبحت الكتابة بلغة الآخر عادة متأصلة " فقد غدا إلمامهم بالعربية ضعيفا بحيث لا يستطيعون التعبير عن أفكارهم باللغة العربية فتظهر كتاباتهم الأدبية بالإنجليزية والفرنسية وغيرها . انظر : جابر عصفور : عن المهجر والمنفى من منظور مختلف ، كتاب العربي ، كتاب ربع سنوي ، يصدر ملحقا لمجلة العربي ، وزارة الإعلام ، الكويت ، العدد ٩٠ ، ١٠/ ٢٠١٢م . **www. alarabi mag . com / book Article / asp? Art**.

[٢] بربارة عبد الإله بوير : تحدي الأطفال مزدوجي اللغات ، ترجمة : كيتي سالم ، ص ٣٤ ، ط أولى ١٤٣٠ه / ٢٠٠٩ م ، دار الفارابي ، لبنان .

[٣] بربارة عبد الإله : تحدي الأطفال ، ص ٣٤ .

[٤] بربارة عبد الإله : السابق ، ص ٣٧.

[٥] د/ محمد مصطفى هدارة : التجديد في شعر المهجر ص ١٩١ ، ط أولى ١٩٥٧م ، دار الفكر العربي . وانظر أيضا : د/ بو جمعة بو بعيو : موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو ، دراسة في الخصائص الموضوعية والفنية ، ص ٤٠٨ ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط أولى ١٩٩٥م .و د/ نادرة جميل السراج : دراسات في شعر المهجر : شعراء الرابطة القلمية ، ص ٢٥١، ط ٣ مزيدة ومنقحة ، دار المعارف .

والآخر :

اتجاه يرى أصحابه أنَّ البعد عن الأوطان يزيدها حبًّا إلى النفوس ، ويدعو المغتربين إلى التمسك الشديد بلغتهم الأصلية ، وإقامة سدٍّ منيع يُحوِّل عنهم سيول اللغة الأجنبية التي تحاصرهم أينما ذهبوا في مهجرهم ، وتُشْعِرهم بالضآلة ، وتُوهن عزائمهم ؛ فهم يَرْمُون إلى أنْ تظلّ عربيتهم رباطا قويا يصلهم بجذورهم التي يجب أنْ تبقى قوية لتصون لهم كيانهم ، وتدفع بهم إلى التميُّز ؛ فاللُّغة مكوِّنٌ من مكوِّنات شخصيتهم لصيقٌ بهم مالكٌ عليهم حياتهم ، وقد نقلت بربارة عبد الإله تجارب بعض المهاجرين التي تبيِّن أنَّ خوفهم من فقدان هويتهم يدفعهم إلى الحفاظ على اللُّغة الأصلية كما يظهر في أقوال تلك المهاجرة الفرنسية :

" لقد شعرت وأنا أعيش في ألمانيا أنَّ لدي شيئا ثمينا جدا يجب أنْ أحافظ عليه مهما كان الثمن : ألا وهو لغتي الفرنسية وثقافتي الفرنسية ، كنت أبذل كلّ ما في وسعي كي تتعلم ابنتي لغتي وتنغمر في ثقافتي وإلا شعرت بالاغتراب . "[1]

ولقد حرص د/ نظمي عبد البديع على أنْ يربط بين حبّ شعراء المهجر لأوطانهم وحبِّهم للغة العربية التي تربطهم بالوطن الأم يقول " ويمكن التفسير لظاهرة تمسّك المهجريين بلغتهم العربية في المهجر على أساس نظرية الأقليات والجاليات في المجتمعات ، وما لها من ملامح تُفرِّقهم عن غيرهم من سائر أفراد المجتمع الذي يعايشونه .

فمن المعروف أنَّ الأقليات تحكمها في المجتمعات التي تحلّ بها ظاهرة التَّكَتُّل والتماسك والترابط والحفاظ على ما لهم من تقاليد خاصة وشارات معينة تَكونُ لهم فيها السِّمة المميِّزة . "[2] والمشكلة هنا أنَّ ثَمَّة ازدواجا لغويا من نوعٍ آخر يُواجِه الأقليات والجاليات التي يحكمها التَّرابط والتَّماسُك هو ازدواج العامية والفصحى ، فحتَّى إذا كان أفراد الجاليات سيحرصون على التَّواصُل باللُّغة العربية فإنها ستكون العامية وليس الفصحى .

ولعلّ ميخائيل نعيمة رَأى أنَّ التأريخَ لتجارب أصحابه خليقٌ أنْ يُعَزِّز الدفاع عن شعر المهْجَر فمضى يعْرِضُ شيئا من تجارب أصحابه يقول عن أمين الريحاني : " مِنْ صبي يغلِب عليه الطيش في قريته المحبوبة الفريكة إلى يافع في نيويورك يساعد والده وعمّه في النهار على ضبط حساباتهما التجارية ،

---

[1] بربارة عبد الإله : تحدي الأطفال ، ص ٧٦، ٧٧.

[2] د/ نظمي عبد البديع محمد : أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب دراسة تحليلية نقدية موازنة ، دار الفكر العربي ، ص ١٠١ .

ويَدْرِس حتى نصف الليل ، لعله يُحَصِّل شيئا مما فاته تحصيله في المدرسة من لغة أجداده ولغة البلاد التي يقيم فيها . " [1]

وما تزال قدرة هذا الاتجاه على الصمود أمام الضعف البادي في أعمال أدباء المهجر تتهاوى ، وما يزال أدباء المهجر ومُناصريهم يدافعون عن أدب المهجر مَا وَسِعَهم الدفاع ، **وهم يَسْلُكون إلى ذلك طرائق عدة هي :**

١- التهوين من شأن المُحافظة على سلامة اللُّغة :

يقول ميخائيل نعيمة هازئا من الاتجاه المحافظ ومُتَهما أصحابه بضآلة الحظِّ من المعنى : " والشاعر الشاعر والناثر الناثر مَنْ نظم الكثير ونثر الكثير بأقل ما يمكن من الهفوات اللُّغوية والعَروضية ، ومِنْ غير أنْ يقول شيئا حريا بالقول ، لقد كان الفكر مُغلقا ، والذوق آسنا والإرادة الخَلَّاقة مشلولة . "[2] فهو يُقلِّل من شأن الحرص على سلامة اللُّغة .

ويهجو إيليا أبو ماضي النحاة ، ويدعو عليهم بالحرمان من الرحمة ؛ لأنهم مصدر فخر للشعراء المتباهين بسلامة لغتهم :

فلا حَبَا اللهُ نحْويا برحمتِه أولى برحمته منه "أبو لهب "
لولا أكاذيبُهمْ ما بات منتصِبا بين العوالي الغوالي فارغُ القَصَب [3]

وكان الأوْلى أنْ يقرَّ ميخائيل نعيمة وإيليا أبي ماضي بما في أشعار المهجريين مِنْ حاجةٍ إلى الإصلاح ، ويعدوا باستئناف العناية ، إذ يجري شعراء المدرسة على ما سبق إليهم من آراء رؤوس اتجاههم المُجَدِّد ؛ فإنْ سوَّغ إيليا لشعراء مدرسته الإعراض عن الاهتمام بسلامة اللغة فقد يمضي هؤلاء الشعراء خطوات وخطوات وقد ينتهي بهم ذلك إلى لغةٍ بيِّنة الفساد .

٢- التعلُّل بأنَّ الشعرَ معانٍ لا ألفاظ وتراكيب :

يقول د/ هدارة " حقيقةً إنَّ شعراء المهجر يؤمنون بأنَّ اللغة وسيلةٌ لا غاية ، وأنَّ الغاية التي تُقصد في الشعر هي المعنى والفكرة ، ويكفي في نظرهم أنْ تومئ الكلمة إلى المعنى إيماءً ،ولكن ليس معنى هذا أنهم كانوا يملكون أداة اللغة

---

[1] ميخائيل نعيمة : في الغربال الجديد مقالات ورسائل نقدية ، مؤسسة نوفل ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٨م بيروت ، لبنان ص ١٨٠ . ونقل د/ هدارة عن بعض شعراء المهجر دعوتهم إلى المحافظة على اللغة وقواعدها وتطبيق ذلك في أشعارهم :انظر د/ هدارة : التجديد في شعر المهجر ص ٦٦.

[2] ميخائيل نعيمة : في الغربال الجديد ص ٩٣، ٩٤، وأشار د/ هدارة إلى قول جبران : لكم لغتكم ولي لغتي " التجديد في شعر المهجر ص ٥٧.

[3] إيليا أبو ماضي : الأعمال الشعرية الكاملة ، قصيدة ماذا؟ ص ١٠٢٨ ، " البسيط " جمع الشعر وقدم له د/ عبد الكريم الأشتر ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ،ط أولى ٢٠٠٨م ، الكويت .

، ثمَّ يتغافلون عن استخدامها تَطرُّفا منهم في ثورتهم بل إنَّ هذا يعني أنهم يُقَدِّمون الفكرة على كلّ شيء ، فإذا كانت لغتهم تُسْعِفهم في التعبير عن هذه الفكرة فلا بأس بذلك ، وإذا لم تسعفهم فإنهم يتجاوزون عمَّا فيها من قصور من الناحية اللغوية ما دامت الفكرة قوية والمعنى سليما . "[١]

وقد وُصِف شعراء المهجر حقيقةً بإبداع المعاني ، ولعلَّ للازدواج اللغوي شيئا مِن المشاركة في تلك السمة الإبداعية ذلك أنَّ " الدِّراسات التي تهتم بأسلوب تفكير مُزدوجي اللُّغة تنطلق من الفَرْضية التي تقول إنَّ التمتع بنظامين من التصوُّرات الذِّهنية يزيد مرونة الفكر وإبداعه ؛ فمُزدوج اللُّغة لديه كلمتان لشيء واحد أو لفكرة واحدة ، فحقل المعاني لديه لشيء واحد أكثر رحابة إذن مما هو لدى الشخص الأحادي اللغة .

إنَّ عالم النفس والاجتماع البريطاني كولين بيكر يذكر المثال الآتي عن اللغة الإنجليزية ولغة بلاد الغال[٢]، ففي تلك اللغة تقال كلمة " مدرسة " بتعبير يعني أيضا " سُلَّما " هكذا يكون لمزدوج اللُّغة الإنكليزية والغالية صورة إضافية إذن حين يفكّر في " مدرسة " : صورة المدرسة كأنها سُلَّم .

إنَّ السؤال يَكْمُن في أنَّ معرفة كلمتين أو كثير من الكلمات لشيء واحد (محتوى – فكرة) تسمح بفكر أكثر إبداعية وأكثر تفرُّدا وبالتالي أكثر حرية . "[٣]

ويشبه ذلك تفرُّد ميخائيل نعيمة بتصوير الأم بـ" بُرْج الحَمَل " الذي يحمل السعادة والخير في زعم المشتغلين بِعِلْم الأبراج في قصيدته التي تحمل الأحرف الأُولى من اسم المرأة التي أحبَّها (**M.D.B**)[٤]

---

[١] د/ محمد هدارة : التجديد ص ١٩١.

[٢] من اللغات الأوربية القديمة التي تعتبر شبه منقرضة حاليا يتحدث بهذه اللغة الآن عدة قبائل تقطن أغلبها منطقة الغال شمال إيطاليا .

[٣] بربارة عبد الإله : تحدي الأطفال ص ٥٨ .

[٤] جاء في القصيدة :

انا المهد الذي ضمّا كيانك قبلما تمّا
وقد فرشت لك الاقدار فيه الورد والحسكا
وصفو البال والهمّا
انا الحَمَل الذي حملا ذنوبك باسما جذلا
فما زلت به قدم ولا يوما شكا التعبا
او الاثقال والملا

" صوَّر الشاعر هذه المرأة بالحَمَل والحَمَل إما أن يكون صغير الضأن غير أن الباحثة ترى أن ذلك المعنى غير مناسب للمعنى المراد أو أن يكون قصد الشاعر برج الحَمَل وهذا ما نراه أقرب للمعنى حيث إنه قصد بذلك الحظ السعيد كما هو في علم المنجمين فهو الذي يحمل السعادة والخير الدائم لذلك الابن والعلاقة بين المرأة أو الأم وبين النجم أنهما يأتيان بالأخبار السارة ويبثان السعادة في قلوب تابعهما – كما يرى ذلك المنجمون – وهذا هو العامل المشترك بين المرأة والنجم " انظر : آلاء صادق الشريفي وآخرون : صورة المرأة في الشعر المهجري ،ص ٣٠١، ٣٠٢ ، المجلة الدولية للبحوث الإسلامية والإنسانية المتقدمة ، المجلد ٤ ، العدد ٣ مارس ٢٠١٤م ٢٩٦- ٣١٢.

غير أنَّ الشعرَ ليس مقصورا على المعاني و " مهما يكن حظّ الشاعر من إجادة المعنى وتصحيحه وتحقيقه والبُعْد به عن الخطأ والارتفاع به عن الإحالة فهو لن يظفر من إعجاب الناس بحظٍّ قليل أو كثير إلا إذا استطاع أن يجلو لهم هذا المعنى في لفظ إلَّا يَكُن رائعا خلابا فلا أقلّ مِن أنْ يكون صحيحا مستقيما بريئا من الفساد . "[1]

٣- تعليل مَسْلكهم بأنَّه ناتجٌ عن إرادة البُعْد عن التكلُّف والجُمود والحَذلقة ومحاولة للبرِّ باللُّغة عن طريق التَّجديد :

لقد غالى بعض مُناصري شعراء المهجر في الدَّوْد عنهم فقد وَصَمَتْ د/ نادرة السراج مَنْ ينتقد فساد لغة شعراء المهجر بالرجعية تقول : " أمَّا ما أخذه البعض على شعراء المهجر عامة وشعراء الرَّابطة القلمية خاصة من ضعف لُغوي ، وعدم المعرفة بأوزان الشِّعر وقواعد النَّحو والعروض ، وخلافه فالظاهر أنهم قد مالوا نحو تلك الحملة التي شنَّها الرجعيون من أدباء الأقطار العربية يوم كان الشِّعر المهجري جديدا عليهم لم تسمع بمثله آذانهم . "[2]

ويذهب د/ أحمد زكي أبو شادي إلى أنَّ شعراء المهجر إنما أرادوا " اجتناب التقعُّر وغريب التعابير التي لا تُوافِق ثقافتنا العصرية "[3]

و أين مِنْ ذلك كلمات إيليا التي تتصل بضروب سير الإبل والخيل وغيرها ممَّا لا يُقيم لهم حُجَّة في القول بإيثار الألفاظ السهلة القريبة إلى لغة الحياة ولا يُصَدِّق مذهبهم في ذلك يقول إيليا :

رُبَّ جوادٍ لاحقٍ هِمْلاج
مُعوَّدِ الإلجام والإسراج
والوخَدِ والدَّميل والإهماج
أصبح مثلَ العِرْق في اختلاج [4]

---

[1] طه حسين : حديث الأربعاء ٣ / ١٩٦ ، الطبعة العاشرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م .
[2] نادرة السراج : شعراء الرابطة ص ٢٥١.
[3] د/ أحمد زكي أبو شادي : الشفق الباكي نظيم من شؤون وعواطف ص٤٥، ٤٦ المطبعة السلفية بمصر ، ١٣٤٥ه / ١٩٢٦م .
[4] إيليا أبو ماضي : الأعمال الكاملة ، لأرفعن للسما احتجاجي ،ص ٣٩٥ (الرجز) ، الناجية : الناقة السريعة التي تنجو بمن يركبها ، هملاج : حسن السير في سرعة وبخترة ، الوخد والذميل والإهماج : ضروب من عدو الإبل فالوخد : سعة الخطو في المشي ، والذميل : السير اللين ما كان ، والإهماج : أهمج الفرس إهماجا في جريه فهو مهمج ثم ألهب في ذلك وذلك إذا اجتهد في عدوه .

و كذلك ما ورد من كلمات في تلك الأبيات المتفرِّقة من قصيدة الأسطورة الأزلية :

- يُسابقُ الصُّعلوكُ ربَّ الغِنى والأبلَهُ الباقعَة الداهيهْ
- وصِرتُ كالجدولِ في فَدْفَدٍ أو شاعرٍ ما بين أصنام
- وازرعْ نجومَ الشَّيبِ في لمتي فينجلِيْ حِندِسُ أوهامي
- كنتُ غنيا في زمان الصِّبا وكنتُ صِفْرَ الكفِّ صِفْرَ الوطاب [1]

وكلمات هيصور وكُدُبْدُب وغيرها كما في :

قالت : صديقُكَ ما يكونُ ؟ أقَشْعَما أم أرْقَما ؟ أم ضَيغما هَيصورا ؟[2]
وتركتُها لاثنينِ غُرٍّ ساذجٍ ومُشعوذٍ وكُدُبْدُبٍ دسَّاس[3]

يقول ابن عصفور : " وعلى فُعُلْعُل : نحو : كُدُبْدُب ولا يُعرف غيره . "[4] ولم يذكر سيبويه لهذا الوزن أمثلة يقول : " وليس في الكلام فِعِلْعِلٌ ولا فُعُلْعُلٌ ولا شيء من هذا النحو لم نذكره لك . "[5]

ونقرأ تعبيرات تراثية مثل : حِلْس الدار – عضَّه اليأس بنابه - " السَّليم " للملدوغ :

قد عضَّهُ اليأسُ الشديدُ في نفسه والجوعُ في الأحشاء بنابهِ
فأقامَ حِلْسَ الدارِ وهوَ كأنَّهُ - لخلوِّ تلك الدارِ – في بيداء[6]
شَوقي إليك أشدُّ من شوق السَّليم إلى الهُجُود[7]

و لعلَّ وجود هذه النماذج التي تكلِّف قارئها البحث في المعاجم يذهب بالباحثين إلى الاعتقاد بأنَّ شعراء المَهْجَر يستعملون الألفاظ الجَزلة عندما تُسْعِفهم قرائحم ، ويستخدمون ما شاع حين تَقْعُد بهم قدرتهم عن استحضار اللفظ الفصيح .

---

[1] إيليا أبو ماضي : الأعمال الكاملة ، قصيدة الأسطورة الأزلية ص ٨٣١- ٨٤٢،(السريع) الباقعة : الداهية ، الحندس : الليل المظلم ، الفدفد : المفازة الواسعة ، الوطاب : آنية اللبن .

[2] إيليا : الأعمال الكاملة ، الشاعر والملك الجائر ص ٦٧٤ ، القشعم : النسر الذكر العظيم ، الأرقم : ذكر الحيات أو أخبثها ، الضيغم : الأسد ، الهيصور : الأسد .

[3] إيليا : السابق ، لم يبق غير الكأس ص ٧٢٢ (الكامل) .

[4] ابن عصفور ، أبو الحسن علي بن مؤمن : الممتع الكبير في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، ص ٨٤ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط أولى ١٩٩٦م .

[5] سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب ٤/ ٢٧٨، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤٣٤ه / ٢٠١٣م .

[6] إيليا : الأعمال الكاملة ، الفقير : ص ٣٠٢ ، الحِلس : الكساء الذي يكون على ظهر البعير تحت الرَّحْل .

[7] إيليا أبو ماضي : السابق ، شكاة إلى صديق ، ص ٢٢٩(مجزوء الرمل) .

ويدافع د/ كمال نشأت عن لُغة المهجر إذ يرى أنها فصيحةٌ بسيطةٌ سهلةٌ يقول :" إنَّ شعراء المهجر قد لجأوا إلى أسلوب تعبيري أقرب إلى لغة الحياة ، أسلوب بسيط أليف لا حذلقة فيه ولا ادّعاء ، وهو أسلوب يقوم على استخدام اللفظة المألوفة غير المبتذلة " [١]

وتقول د/ نادرة السراج : " من الجدير بالذكر أنهم كانوا يتوخون استخدام الكلمات الخفيفة الموحية والألفاظ السائغة السهلة مُراعين في ذلك شيوع الكلمات وقربها إلى النفوس ... وليس معنى هذا أنهم يُكثرون من استخدام الكلمات العامية ، بل على العكس إنَّك لا تجدفي دواوينهم سوى كلَّ فصيحٍ مليح ، ولا مانع عندهم في الوقت نفسه من اللجوء إلى بعض هذه التعابير العادية إذا وجدوها ملائمة للغرض وافية بالمطلوب غير قبيحة أو سخيفة . "[٢]

وحديث د/ نادرة وغيرها عن استخدام المهجريين للكلمات السَّهلة الشَّائعة مع سلامتها من الخطأ وعن اللُّجوء إلى التعابير العادية اسْتَنَد إلى ما وُجِد في أشعارهم من نماذج وفيرة تنهضُ شاهدا على ذلك ؛ فهي ألفاظٌ صارت عامية في العصر الحديث بعد شيوع استخدام الفئات الدُّنيا من المجتمع لها ، وترْك استعمالها في الكتابات الرسمية إذ تتجافاها الأقلام وتترفَّع عنها حين تبدأ في التسجيل ، غير أنّ هناك خصوصية لبعض الكلمات التي وردت على هذه الشاكلة عند إيليا مثل " مُزوَّق " و" دوَّخ " إذ إنَّ ظهورها في الحديث النبوي والأثر يدعو إلى إعادة الاعتبار لها وإحياء استخدامها في الكتابات الفصيحة والرسمية فالصواب أن يخضع مقياس الفصاحة لما ورد في الحديث النبوي :

وتظهر الكلمات في الأبيات التالية :

مُغَفَّل :

وكُلُّ فَتى يرضى بوجهٍ مُنمَّقٍ مِنَ الناعماتِ البيضِ فهو مُغَفَّلُ[٣]

من غير المألوف استعمال اسم المفعول " مُغَفَّل " في الكتابات الرَّسمية والفَصيحة على الرغم من استعمال فعله " أغفل " و" أغفله تركه وسها عنه ... وأغفلت الرجل أصبته غافلا وعلى ذلك فسَّر بعضهم قوله عزَّ وجلَّ (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا)[٤] ... والمغفَّل الذي لا فطنة له . "[٥] فالكلمة تجري بها الألسنة في الحوارات اليومية لكنها لا تظهر فيما تسجله الأقلام .

---

[١] د / كمال نشأت : شعر المهجر ص ٣٥، ٣٦ الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
[٢] د / نادرة السراج : شعراء الرابطة القلمية ، ص ٢٤٧
[٣] إيليا : الأعمال الكاملة ، المرأة والمرآة ص ٨٤ (الطويل) .
[٤] الكهف / ٢٨.
[٥] ابن منظور : لسان العرب ، غفل ، نسقه وعلّق عليه ووضع فهارسه : علي شيرى ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ه / ١٩٩٢م .

مُزَوَّق :

يطارحُك الحبَّ الذي أنت أهلُه وحسبُكَ مِنه الحبُّ غيرَ مُزَوَّق[1]

وتظهر تلك الكلمة في الحديث النبوي نقرأ في مسند أحمد " حَدَّثنا أبو كامل ثنا حمَّاد يعني – ابن سلمة – عن سعيد بن جمهان قال سمعت سفينة يحدِّث أنَّ رجلا ضاف علي بن أبي طالب فصنعوا له طعاما ، فقالت فاطمة - رضي الله عنها - : لو دَعَوْنا رسولَ اللهِ - صلَّى الله عليه وسلَّم – فأكل معنا . فأرسلوا إليه فجاء فأخذ بعضادتي الباب فإذا قِرام قد ضُرِب به في ناحية البيت ، فلما رآه رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – رجع فقالت فاطمة لعلي : اتبعه فقل ما رجعك ؟ قال فتبعه فقال : ما رجعك يا رسول الله ؟ قال إنه ليس لي أو ليس لنبي أنْ يدخلَ بيتا مزوَّقا . "[2]

والاستشهاد بالحديث النَّبوي في إثبات المفردات اللُّغوية وتفسيرها أجازه كثير من العلماء ، أمَّا الحُكم بالابتذال والعَامية فمرتبطٌ بشيوع استخدام الفئات الدُّنيا من المجتمع للكلمة في الاتصال اليومي العادي وعدم استخدامها في الكتابات العلمية وما يجري مُجراها ،ولعلَّ هذا ما آل بكلمة " مُزوَّق " إلى العامية،

و ترجع " مزوّق " إلى كلمة زئبق يقول ابن الأثير : " قيل أصله من الزَّاووق وهو الزئبق ؛ لأنه يُطلى به مع الذهب ثم يُدخل النار فيذهب الزئبق ويبقى الذهب . "[3] ويقول الخفاجي : " زئبق مُعَرَّب ويُقال له زاووق أيضا ومنه شيء مُزَوَّق بمعنى مُزَيَّن وليس بخطأ كما ظنَّه بعضهم لكنها عامية مبتذلة . "[4]

---

[1] إيليا : الأعمال الكاملة ، عبد الحميد بعد إعلان الدستور ص ٢٠١ (الطويل) .

[2] ابن حنبل ، أحمد بن محمد : المسند ، ٥ / ٢٦١ ، حديث أبي عبد الرحمن سفينة مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، الحديث رقم : ٢١٩٨١ ، رقم أحاديثه : محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣ه / ١٩٩٣م ، وقد تكرر الحديث باختلافات يسيرة في اللفظ في الحديثين ٢١٩٨٥-٢١٩٩٢ .

والقرام : ثوب من صوف فيه ألوان يتخذ سترا .

ومما جاء في سبب تسمية سفينة بهذا الاسم الحديث رقم ٢١٩٨٣ في المسند وفيه : حدثنا شريك عن عمران البجلي عن مولى لأم سلمة قال : كنت مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في سفر فانتهينا إلى واد قال : فجعلت أعبر الناس أو أحملهم فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ما كنت اليوم إلا سفينة – أو ما أنت إلا سفينة ، قيل لشريك هو سفينة مولى أم سلمة – رضي الله عنها - .

[3] ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٢/ ٣١٩ ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، طاهر أحمد الزاوي المكتبة الإسلامية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان الطبعة الأولى ، ١٣٨٣ه / ١٩٦٣م .

[4] الخفاجي ، شهاب الدين أحمد : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، ص ١١٣ ، المطبعة الوهبية ، مصر ١٣٨٣ه.

دوَّخ :

وكما علِمتمْ ذلكَ الجيش الذي دكَّ العروشَ ودوَّخَ الأقطارا[1]

يتصل معنى الفعل " دوَّخ " في استخدامنا المعاصر بإرهاق الخصم ، وجاءت في المعاجم بمعنى الإذلال ، والإذلال ليس ببعيدٍ عن الإرهاق إذ ينتج عنه ، و يقال :

" دوَّخ الرجل والبعير ذلَّله يائية وواوية "[2] ويقول ابن الأثير : " في حديث وفد ثقيف " أداخ العرب ودان له الناس " أي أذلهم يقال : داخ يَدُوخ إذا ذلَّ وأدخْتُه أنا فداخ . "[3] ويقال :ديَّخها " في حديث عائشة تصف عمر " ففثَّخ الكَفَرَة وديَّخها " أي أذلها وقهرها . يقال ديَّخ ودوَّخ بمعنى واحد . "[4]

داس :

سحقَ القويّ بها الضعيف وداسَه ومشى على أرضٍ من الأبدان[5]

" الدوس : الوطء بالرجل كالدِّياس والدِّياسة بكسرهما وقد داسه برجله يدوسه دوسا ودياسا ودياسة وطئه "[6] إنَّ الكتابات الأدبية ليست سواء في استهجان ظهور ما يُحْكم عليه بالعامية في العصر الحديث ، إذ تختلف لغة الشعر الفصيح عن لغة الحوار على سبيل المثال داخل الأعمال الروائية وما يرتبط بذلك من مشكلات تتعلق بمفهوم الواقعية في الأدب .

نشَّال :

لا تعجَبُوا مما أحدِّثُكم به كم تحت ذاك الثوبِ من نشَّال [7]

استخدام صيغة المبالغة " نشَّال " للسَّارق استخدام مُولَّد للكلمة و " النشَّال : كثير النَّشْل والخفيف اليد من اللصوص ، السَّارق على غِرَّة . " [8]

---

[1] إيليا : الأعمال الكاملة ، الذئاب الخاطفة : ص ٢٠٤(الكامل) .
[2] ابن منظور : اللسان ، دوخ .
[3] ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٣٨ .
[4] ابن الأثير : السابق ٢ / ١٤٧.
[5] إيليا : الأعمال الكاملة ، الحرب العظمى : ص ٤٠٢ (الكامل) .
[6] الزبيدي ، السيد محمد مرتضى : تاج العروس ، فصل الدال من باب السين ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية ، الطبعة الأولى ١٣٠٦ه .
[7] إيليا الأعمال الكاملة ، هديتي ص ٩٩ (الكامل) .
[8] مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، نشل ، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الخامسة " منقحة " ١٤٣٢ه / ٢٠١١م .

بطّال :

أدِماءُ قلوبِ العمَّال ما بين نساءٍ ورجال
تُعطى لغبيٍّ بطَّال ما فارقَ بابَ الخمَّارة؟[1]

" بَطُل الدَّليل فهو باطل والعَامل بطالة : تعطَّل فهو بطَّال . "[2] أي بلا عمل .

وتعبيرات مثل : على العين والرأس :

فقلتُ : وحقِّ الشِّعرِ مديحكَ واجبُ ومثليَ يقضيه على العَيْن والرَّأس[3]

ولن أُطيلَ الحديث عن بعض الظَّواهر التي تُنْسَب إلى العامية مثل تسهيل الهمزات أو إبدال الحروف كما في : راس[4] – كاس[5] – جينا[6] لأن الإبدال من الظَّواهر المطردة في اللُّغة يقول ابن عصفور عن إبدال الألف من الهمزة :

" فأبدل من الهمزة باطراد إذا كانت ساكنة وقبلها فتحة نحو رأس وكأس . "[7]

و يقول كذلك عن إبدال الياء من الهمزة " وأبدلت من الهمزة باطراد إذا كانت ساكنة وقبلها كسرة فنقول في ذئب وبئر ومئرة ذيب وبير وميرة . "[8]

٤- الإقرار بضعف لغة شعراء المهجر مع التماس الأعذار لهم :

بعد أنْ حاولَ د/ كمال نشأت من قبل أنْ يُسوِّغ مَسْلكَهم اللُّغوي طالَبَ بالتماس الأعذار يقول : " والحق يُقال إنَّ كثيرا من شعراء المهجر يقعون في أخطاء كثيرةٍ نحويةٍ وصرفيةٍ ولكن مما يدعو إلى الإعجاب بهم أنَّ أغلبهم لم يتم دراسته الابتدائية وبعضهم ثقَّف نفسه بنفسه وبعضهم لم يَدْرس النحو على الإطلاق . "[9]

---

[1] إيليا : الأعمال الكاملة ، يا هذا : ص ١٠٦٢(المتدارك).
[2] مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، بطل .
[3] إيليا : الأعمال الكاملة ، ضيف ثقيل : ص ١٢٠ (الطويل) .
[4] راودني النوم وما برحا حتى طأطأت له راسي
إيليا : الأعمال الكاملة ، الأشباح الثلاثة : ٦٢٢.
[5] في الليل وفي وضح الفجر والخمرة فيه والكاس
إيليا : السابق ،الأشباح الثلاثة ، ص ٦٢٦.
[6] فما لطماعة بنضار فورد وفضته إليك اليوم جينا
إيليا : السابق ، مستشفى تل شيحا ص ٨٢٤.
[7] ابن عصفور : الممتع ص ٢٦٩ ، وانظر المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد : المقتضب ، ١/ ١٥٧ ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .
[8] ابن عصفور : السابق ، ص ٢٥١ والميرة : الثأر والعداوة والنميمة .
[9] د/كمال نشأت : شعر المهجر ، ص ٣٨ .

ويتفاوت الباحثون في الإقرار بوجود الأخطاء اللُّغوية بين وصفها بالكثرة تارة ووصفها بالنُّدور أحيانا تقول د/ نادرة " وقد لا نعدم الدليل على مثل هذه الاشتقاقات والكلمات الغريبة في دواوين شعراء الرابطة فمن ذلك استخدام إيليا أبي ماضي لكلمة " غرابيب " بدل " غربان " وهي ليست معجمية صحيحة وهناك أمثلة أخرى قليلة في بعض أشعار الآخرين . "[1]

تُشير دكتورة نادرة السراج إلى قول إيليا :

كم مَرَّةً حامتْ غرابيبُ الأسى ... لِتُقيت من قلبي الجريح بَنِيها
فإذا الأغاريدُ اللطيفةُ دونها ... سُوْرٌ يصونُ حُشاشتي ويقيها[2]

فقد أقرَّ أنصار شعر المهجر بوجود أخطاء في اللغة عند شعراء المهجر ، ومثَّلوا لذلك باستخدام إيليا لكلمة " غرابيب " بدلا من " غربان " حيث يقترن " الغراب " بالحديث عن الحُزن و التَّنائي و البَيْن ، فهل أبْعَدَ إيليا في الخطأ حين استخدم " غرابيب " في هذا السياق ؟ أنعدم أثرا من هذا الاستخدام في الشعر القديم ؟

إنَّ " غرابيب " جمع : غِربيب وهو اسم للشيء الأسود الحالك سواده كما جاء في تفسير السمين الحلبي لكلمة " غِربيب " في قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[3] حيث يقول : " يقال : أسود غِربيب وحالك ، حالك نحو :أحمر قان ، واشتقاقه من الغُراب لشدة سواده ، يقال : هو أسود من حَلَك الغُراب ، والغراب مأخوذ من الغُربة ، وأصل الغربة البُعد ومنه الغريب لبعده عن وطنه . "[4] ويشير الشوكاني إلى اتصال كلمة " الغربيب " إلى " الغراب " بسببٍ فيقول " الغربيب الشديد الذي يشبه لونه لون الغراب . قال الجوهري : تقول هذا أسود غربيب : أي شديد السواد وإذا قلت : غرابيب سود جعلت السود بدلا من غرابيب . "[5] وينبِّه ابن عاشور على الأمر ذاته مع اختلافه في النظر إلى كلمة الغراب حيث يذهب إلى أنها اسمٌ جامدٌ

---

[1] د/ نادرة السراج : شعراء الرابطة القلمية ص ٢٤٧.
[2] إيليا أبو ماضي : الأعمال الكاملة ، الكمنجة المحطمة ، ص ٥٩٦ (الكامل).
[3] فاطر / ٢٧.
[4] السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم : عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم ، ٣/ ١٥٦، غرب ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط أولى ١٤١٧ه / ١٩٩٦ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
[5] الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ٤/ ٣٣٧، حققه وخرج أحاديثه : د/ عبد الرحمن عميرة ، وضع فهارسه وشارك في تخريج أحاديثه : لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء ، دار الوفاء – دار الأندلس ، الطبعة الأولى ١٤١٥ه / ١٩٩٤م .

يقول : " " الغربيب اسم للشيء الأسود الحالك سواده ، ولا تُعْرَف له مادة مُشتق هو منها وأحسب أنه مأخوذ من الجامد وهو الغراب لشهرة الغراب بالسواد . "[١] ولم تخرج كتب غريب القرآن التي وضعها المحدثون عن هذا الرأي يقول د/ محمد التونجي : " " غرابيب واحدها غربيب ، وهو الشديد السواد قيل : سود غرابيب فقدمت الصفة على موصوفها والغربيب : الأسود الحالك وأكثر ما يجيء تأكيدا . "[٢]

و يقول د/ محمد الخضيري : " و غرابيب سود : شديدة السواد كالأغربة ."[٣]

هذه الصلة بين كلمتي الغراب والغربيب سوَّغت أن تستخدم كلمة "غِرْبيب " أحيانا بمعنى "غراب " كما في قول الشاعر الأموي النابغة الشيباني :

إنَّ البوارحَ لا يَحْبِسْن رحلتَهُ ولا يعوجُ بأصواتِ الغرابيبِ
إنَّ الخليفة فرعٌ حين تنسُبُه من الأعاصي هِجانٌ خيرُ منسوبِ[٤]

أصوات الغرابيب أي أصوات الغربان التي عدَّها العرب قديما نذير شؤم وأضافوها إلى البَيْن فقالوا : غراب البَيْن ، ويقول ابن الحدّاد الأندلسي في مدح المعتصم بن صمادح :

نَوَى أجْرَتِ الأفلاكَ وهي النَّواعجُ وأطلعَتِ الأبراجَ وهْيَ الهوادجُ
طواويسُ حُسْنٍ روَّعَتني ببينِها غرابيبُ حزنٍ بالفراقِ شواحجُ [٥]

وشواحج أي مُردِّدة أصواتها التي تُؤْذِن بالفراق ، ويقول في موضع آخر :

قَدْ عَوَّضُوا من بائناتِ جُسُومِهِمْ بمُصْمَتةٍ لا عَظْمَ فيها ولا جِلْدُ
كأنهُمُ فيها غرابيبُ وُقَّعُ على باسقاتٍ لا تروحُ ولا تغدو[٦]

يُشبِّه رؤوس الأعداء وهي مصلوبة على الرماح بغربان جاثمة على البان لا تروح ولا تغدو .

---

[١] ابن عاشور ، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير ، ٢٢/ ٣٠٢، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .
[٢] د/ محمد التونجي : المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم ، ص ٣٤٧ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط أولى ١٤٢٤ه / ٢٠٠٣م .
[٣] د/ محمد عبد العزيز الخضيري : السِّراج في بيان غريب القرآن ،ص ٢٣٠، الإدارة العامة للأوقاف ، إدارة الشؤون الإسلامية دولة قطر ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٩ه / ٢٠٠٨م .
[٤] النابغة الشيباني ، عبد الله بن المخارق بن سليم : ديوان نابغة بني شيبان ، ص ٧٦، الطبعة الرابعة ،١٤٣٠ه / ٢٠٠٩م ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .
[٥] ابن الحداد الأندلسي : الديوان ، ص ١٧٣ ،(الطويل) جمعه وحققه وشرحه : د/ يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط أولى ، ١٤١٠ ه / ١٩٩٠ م .
[٦] ابن الحداد الأندلسي : الديوان ، ص ١٨٦(الطويل).

واستخدمت كلمة " غرابيب " للدلالة على من يتصف بالسواد المعنوي الناتج عن ارتكاب الآثام يقول أبو العلاء المعري :

ونحنُ من حَدَثانِ نمترِي عَجبا ومعشرٌ يَقِفون الغيَّ تسبيلا
هُمُ الغرابيبُ من إثم وإن أُمنوا على سِراركَ لم تعدَمْ غرابيلا[1]

وهكذا تتعدَّد استخدامات كلمة " غرابيب " فالأصل أنها من الألفاظ التي تستخدم في تأكيد المعنى القائم في غيرها حين يؤكد بها اللون الأسود كما أن كلمة " قان " يؤكد بها اللون الأحمر ، وتستخدم أيضا لما حَلِكَ سواده من بَشَرٍ وطيرٍ وجمادٍ ، وهذا ما يسوِّغ مجيئها في قول إيليا .

وفي البيت أمرٌ آخر وهو مجيء تمييز كم الخبرية منصوبا في قوله " كم مرةً " وهو جائز يقول الأشموني : " إنّ لغة تميم نصب تمييز "كم" الخبرية إذا كان مفردا"[2]

ثانيا : موقف إيليا أبي ماضي من النحاة :

أثنى النُّقاد على إيليا أبي ماضي بجودة المعاني وحسن التصوير لكنهم عابوا عليه ضعف اللغة يقول طه حسين : " ولست أزعم أنَّ لغة الشاعر رديئة أو مُنْكَرة ، ولكنها تُقارب الرَّداءة أحيانا حتى توشك أنْ تُوغل فيها إيغالا ، وليكن مصدر ذلك ما يكون ، ولكنه شيء واقع لا نستطيع إلا أن نلاحظه ونُسجِّله آسفين ، ذلك أنَّ الشاعرَ مجيدٌ حقا خصب الذهن نافذ البصيرة ذكي القلب متقن الفهم لما يريد أن يقول موفق إلى إجادة التصوير ... ولعل الشاعر نفسه آنس الضعف في لغته ، ولعله حاول أن يصلحه فلم يستطع ، ولعله لما استيأس من هذا الإصلاح لم يجد بُدًّا من أن يتخذ هذا الضعف مذهبا ، ومن أنْ يدافع عنه دفاعا ويذود عنه ذيادا . "[3]

لقد أبَى النقاد على شعراء المهجر ومنهم إيليا الثناء والإطراء المبرَّأين من الانتقاص ، وأخذوا في تَتبُّع أغلاطهم اللغوية واتهامهم بتجاوز قوانين اللغة ؛ فآذاهم ذلك ، وأمضَّهم ؛ فاندفعوا إلى الهجوم على النَّحو والنُّحاة في غير تحفُّظ يقول إيليا أبو ماضي على سبيل المثال :

---

[1] ابن الحداد الأندلسي : الديوان ، ص ١٧٣ ،(الطويل) جمعه وحققه وشرحه : د/ يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط أولى ، ١٤١٠ ه / ١٩٩٠ م .
[2] ابن الحداد الأندلسي : الديوان ، ص ١٨٦(الطويل).
[3] المعري ، أبو العلاء عبد الله بن سليمان : شرح اللزوميات ، ٢ / ٤٤٤ ، (البسيط) تحقيق : منير المدني ، وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

تبَّ النحاةُ وتبَّ المؤمنون بهم أهلُ السخافاتِ والتَّضليلِ والكذبِ
كم جوَّزوا من كلامٍ لا جَواز له وأوجبوا من أمورٍ قطُّ لم تجب
وكم روَوا من أحاديثٍ ملفَّقةٍ وزوَّروا من حكاياتٍ ومن خُطب
النحوُ والصرفُ والإعرابُ أجمعها سفاسفٌ لم تكن من قبلُ في "العرب"
هذه تعاليمُ كَسلَى ما يُدل بها إلا فتى أعجميُّ الحَلْق والنَّسَب[1]

وعلى الرغم من ظهور بعض الأغلاط الصَّرفية والنَّحوية والدِّلالية في شعر إيليا ؛ فإنَّه قد انتحى طريقا أخرى للردِّ على النُّحاة ، فثَمَّة ظواهر في شعره تدل على أنَّه اتخذ من استعمال ما تتنازعه المذاهب النحوية وما ينتمي إلى الأبواب التي وصفها النحاة بأنها قليلة في الاستخدام أو نادرة أو شاذة وسيلةً لإظهار التميُّز وردًّا عمليا على مَنْ يَلْمِز المهجريين بالانقطاع عن التراث اللُّغوي العربي ، أو عدم الإلمام به ، ومن ذلك :

١- استخدام بناء للجمع لم ترد عليه إلا كلمةٌ واحدةٌ مثل صَحابة بدلا من أصحاب :

كان الشَّبابُ ، وكان لي أملٌ كالبحر عُمْقا ،كالزمان مَدَى
وصحابةٌ مثلُ الرياض شَذَا وصواحبٌ كورودِها عددا[2]

و" صَحابة " جمع صاحب " ولم يُجمع فاعل على فَعالة إلا هذا ... وقال الجوهري : الصحابة بالفتح : الأصحاب ، وهو في الأصل مصدر . "[3]

٢- استخدام الفعل راء بدلا من رأى كما في قوله :

أرى الكونَ يَرمُقُه ضاحكا كمن راءَ في تِيهه كوكبا[4]

وكذلك قوله :

مشاهدُ لاحتْ لي فهزَّتْ فَرائِصي كما دُعِر الملْسُوعُ راءَ الأفاعيا[5]

واستخدامُ الفعل " راء " بدلا من " رأى " استخدامٌ صحيحٌ لكنَّه غير مشهور ، وفيه قلبٌ مكانيٌّ بتقديم لام الفعل على عينه ؛ فالفعل يصبح على وزن " فلع " يقول الفارسي : " وقد قلبت الهمزة التي هي عين إلى موضع اللام في " رَأى " فقالوا في " رآه " " راءَه " وفي " ساءه " " سآه "... ومن قال راءَ

---

[1] إيليا : الأعمال الكاملة ، قصيدة ماذا ص ١٠٢٨(البسيط) .
[2] إيليا : الأعمال الكاملة ، لم أجد أحدا ص ٢٩٢(الكامل) .
[3] ابن منظور : لسان العرب ، صحب .
[4] إيليا : الأعمال الكاملة ، قصيدة ١٩٣١م ص ٣٢١ ،(المتقارب) وذكر هذا الفعل مرة ثالثة في قصيدة بائعة الورد ص ٣٥٨، ومرة رابعة في قصيدة الفردوس الضائع ص ٤٦٩ .
[5] إيليا : السابق ، دموع وتنهدات ص ٤٠٩ (الطويل) .

فقلب ، قال في الفعل المبني للمجهول " رِيْءَ" مثل " بِيْعَ " لأن الياء قد وقعت في موضع العين "[١]

٣- استخدام كلمة الأذين بدلا من الأذان على الرغم من أنَّ الكلمتين متساويتان في الحركات والسواكن ؛ فلم تُستَخدم واحدة دون الأخرى لإقامة الوزن :

حتى أرى ضاربَ الناقوس يُطربُهُ صوتُ الأذينِ وهذا رنَّةُ الجرَسِ[٢]

جاء في لسان العرب " أذان الصلاة معروف والأذين مثله قال الراجز :

حتى إذا نودي بالأذين وقد أدَّن أذانا وأدَّن المؤذن تأذينا . "[٣]

وقد استشهد بقول جرير :

" هل تشهدون من المشاعر مَشْعرَا أو تسمعون من الأذان أذينا ؟

ويروى هذا البيت :

هل تملكون من المشاعر مَشْعَرا أو تشهدون مع الأذان أذينا ؟

ابن بري : والأذين هنا بمعنى الأذان أيضا ، قال وقيل الأذين هنا المؤذن . "[٤]

٤- استخدام " شواذ التصغير مثل " أُصيبية " :

تطوف به أُصَيبيةٌ صغارٌ كأن وجوهَهُمْ طُليت جِسادا[٥]

" صبيّ " على أربعة أحرف ، وثالثه حرف لين ، عند جمعه جمع قِلَّة يجمع على" أفْعِلة " يقول المبرد : " أما ما كان من ذلك على فعيل فإنَّ أدنى العدد أفعلة قفيز وأقفزة وجريب و أجربة "[٦] وكذلك " جمع فُعَال في أدنى العدد كجمع فعيل . "[٧] وعلى هذا فإنَّ " صبيّ " يجمع على " أصبية " ، و " غلام " على " أغلمة " ، ولكن استغني عن " أغلمة " و " أصبية " بـ " غِلْمة " و "

---

[١]أبو علي الفارسي : المسائل الحلبيات ، ص ٤٧، ٤٨ ، تقديم وتحقيق د/ حسن هنداوي ، دار القلم دمشق ، دار المنارة بيروت ، ط أولى ١٤٠٧ه / ١٩٨٧م .

[٢]إيليا : الأعمال الكاملة ، سبيل التوحيد : ٤٣٦ (البسيط) .

[٣]ابن منظور : لسان العرب ، أذن .

[٤]ابن منظور : السابق ، أذن ، والبيت في الديوان : أو تشهدون مع الأذان أذينا (من الكامل) انظر : جرير بن عطية الخطفي : ديوان جرير ، ص ٧٣٠، هذا ابن عمي في دمشق ، قالها يهجو الأخطل ، شرح د/ يوسف عيد ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى .

[٥]إيليا ، الأعمال الكاملة ، أيها الراعي : ص ٥٣٩ (الوافر) .

[٦]المبرد : المقتضب ٢/ ٢٠٩ .

[٧]المبرد : السابق ٢/ ٢١١.

صبية " " وأما غلام فيستغنى أن يقال فيه أغلمة بقولهم : غِلْمة لأنهما لأدنى العدد ومجازهما واحد إلا أنك حذفت الزيادة . "[1]

وإذا أريد تصغير هذا الجمع يرد إلى بنائه القياسي المهمل يقول سيبويه : " ومن ذلك قولهم في صبية أُصَيبية وفي غلمة أُغَيلمة كأنهم حقروا أُغْلِمة و أُصْبِية ، وذلك أن أفْعِلة يجمع به فُعال وفَعيل ، فلما حقَّروه جاءوا به على بناء قد يكون لفُعال وفَعيل فإذا سميت به امرأة أو رجلا حقرته على القياس ، ومن العرب من يجريه على القياس فيقول صُبيّة وغُليمة . "[2] وهذا يعني أن " أصيبية " و "أغيلمة" ألفاظ " استغني فيها بتصغير مهمل عن تصغير مستعمل "[3] وهذا ما يجعله في شواذ التصغير يقول الرضي : " وأُغَيلمة وأُصَيبية في تصغير غِلمة وصِبية شاذان أيضا ، والقياس غليمة وصبية ومن العرب من يجيء بهما على القياس "[4]

٥- استخدام الصفة المشبهة للمؤنث بترك علامة التأنيث في " بخيل " ، ومجيء فعيل بمعنى فاعل مستويا فيه المذكر والمؤنث قليل :

يقول إيليا :

ولقولُ العُذَّالُ عنكِ: " بخيلٌ " هو خيرٌ من قولهم:" مسكينه "[5]

وكلمة " بخيل " صفة مُشَبَّهة ، والصفات المشبَّهة والأسماء المنسوبة تلحق بهما تاء التأنيث " لمشابهتهما لاسم الفاعل واسم المفعول لا للفعل ، وذلك لأنهما اسمان فيهما معنى الصفة كاسمي الفاعل والمفعول "[6] فهذه الكلمة ليست في الأصل من الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث ، وقد وردت مؤنثة في الشواهد النحوية ومن ذلك قول الشاعر :

---

[1] المبرد : السابق ٢/ ٢١١ .

[2] سيبويه : الكتاب ٣ / ٤٨٦.

[3] المرادي ، الحسن بن قاسم : توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٥/ ١٤٢٤، شرح وتحقيق : أ . د / عبد الرحمن علي سليمان ، ط أولى ، ١٤٢٢ه / ٢٠٠١م .

[4] الإستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن : شرح شافية ابن الحاجب ، ١/ ٢٧٨، تحقيق : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٠٢ه / ١٩٨٢م .

[5] إيليا : الأعمال الكاملة ، ابنة الفجر : ص ٥٤١(الخفيف) .

[6] الإستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، ٤/ ٢٨٩ ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، القاهرة ، عالم الكتب ،الطبعة الأولى ١٤٢١ه / ٢٠٠٠م .

من أجلك يا التي تيمت قلبي وأنتِ بخيلةٌ بالوصل عني[١]

وعلى الرغم من ذلك فقد جاءت بعض الصفات المشبهة على بناء فعيل للمؤنث دون التاء يقول الرضي : " وقد جاء شيء من فعيل بمعنى فاعل مستويا فيه المذكر والمؤنث حملا على فعيل بمعنى مفعول نحو جديد وسديس وريح خريق ورحمة الله قريب ويلزم ذلك في سديس وخريق "[٢]

وذلك كما في الشاهد :

فلو أنكِ في يوم الرخاء سألتني طلاقكِ لم أبخلْ وأنتِ صديقُ[٣]

ويقول البغدادي في تعقيبه على الشاهد السابق : " وقال صاحب العباب : قد يقال للواحد والجمع والمؤنث قال الله تعالى (أوْ صَدِيقِكُمْ)[٤] أي أصدقائكم وقال :

نَصبنَ الهوى ثمَّ ارتمين قلوبنا بأعين أعداءٍ وهُنَّ صديقُ

وأنشد الليث :

إذِ الناسُ ناسٌ والزمان بِعزَّةٍ وإذْ أُمُّ عمَّارٍ صديقُ مُساعِفُ "[٥]

فالأصل في الصفات المشبهة أنها تؤنث بالتاء وترك التاء مع المؤنث قليل لكنه جائز .

٦- وجود ما ينتمي إلى الظواهر التي يُشير النحاة إلى أنها قليلة في الاستخدام نحو ورود المصدر المؤول بحذف " أنْ " ورفع الفعل بعد حذف الحرف المصدري كما سنرى في أحد أبيات تلك القصيدة التي جاء رويها ميما مرفوعة:

قد مات كهلهُمُ من قبل مِيتتهِ وشاخ ناشئهُمْ من قبلِ يَكْتَهلُ[٦]

---

[١] البغدادي ، عبد القادر بن عمر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،٢/ ٢٥٦ ، الشاهد ١٢٨، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د/ محمد نبيل طريفي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .
والشاهد عند ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي : شرح المفصل ٨/٢ ، عالم الكتب ، بيروت

[٢] الإستراباذي: شرح الشافية ٢/ ١٣٩ .

[٣] البغدادي : الخزانة ٥/ ٤٠٩ ، الشاهد ٤٠٨.

[٤] النور : ٦١.

[٥] البغدادي : الخزانة ، ٥/ ٤١١، ٤١٢ .

[٦] إيليا : الأعمال الكاملة ، سقوط أرضروم : ص ٤٣٥ (البسيط) .

جاء المصدر مُؤَولا في الشطر الثاني في قوله " من قبل يكتهلُ " وهذا التوجيه سببه مجيء المصدر صريحا في الشطر الأول في قوله " من قبل ميتته " فجاء الحرف المصدري محذوفا في الشطر الثاني للدلالة عليه .

وحذف " أنْ " ورفع الفعل بعدها قليل يقول سيبويه : " وقد جاء رفعه على شيء هو قليل في الكلام على : مُرْه أنْ يحفرها فإذا لم يذكروا أنْ جعلوا المعنى بمنزلته في عَسَيْنا نفعلُ . وهو في الكلام قليل لا يكادون يتكلمون به "[1] و" نفعل " دون "أنْ" في موضع الاسم المنصوب الذي هو خبر عسى .

ويقول المبرد : " ويكون على شيء هو قليل في الكلام ، وذلك أن تريد : مُرْه أنْ يحفرها فتحذف " أن " وترفع الفعل ؛ لأن عامله لا يضمر وبعض النحويين من غير البصريين يجيز النصب على إضمار " أنْ " "[2] وقد جاء عليه قول طرفة :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

" فالمعنى : عن أنْ أحضر الوغى ، كقولك : عن حضور الوغى ؛ فلما ذكر أحضر دلَّ على الحضور، وقد نصبه قوم على إضمار أن وقدموا الرفع ."[3] وسبب تقديم الرفع على النصب أنَّ " الأفعال لا تضمر عواملها فإذا حذفت رفع الفعل وكان دالا على مصدره "[4]

وقد يحذف الحرف المصدري مع نصب الفعل كما في :

يا ليتني ضيَّعت مَعْرفتي من قبلِ أعرفَ منهمُ أحدا[5]

وقد يرد المصدر بحذف ما المصدرية قبل الماضي في قوله :

ما كنتُ أدري قبل طارَ نعيُّه أن النفوسَ من العيون تَسيل [6]

---

[1] سيبويه : الكتاب ٣/ ٩٩ .
[2] المبرد : المقتضب ٢/ ٨٤، ٨٥ .
[3] المبرد : السابق ٢/ ١٣٦ والشاهد في الخزانة هو الشاهد العاشر ١/ ١٣٠ وفي سيبويه ٣/ ٩٩ ، و في شرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٢٨، و ٧/ ٥٢ .
[4] المبرد : السابق ٢ / ١٣٦ .
[5] إيليا : الأعمال الكاملة ، لم أجد أحدا : ص ٢٩٥ ،(من الكامل) ومثله :
تشتاق عيني قبل يغمضها الردى لو أنها اكتحلت ولو برمالها
(تأملات : ص ٧٣٩)
فإن تلمس الثوب الذي أنا لابس قددت بكفي الثوب من قبل ينقد
(حكاية قديمة : ص ٤٥٤)
== ماذا تراني ؟ صاح وليم باكيا حتى الأبالس لا تحب تراني
(الفردوس الضائع ص ٤٧١)
[6] إيليا : الأعمال الكاملة ، رثاء : ص ٥١٥ (الكامل) .

ولم يكن حذف الحرف المصدري بالنموذج الوحيد للاستفادة مما رخَّص به النحاة في مخالفة القاعدة إذ تظهر نماذج لحذف المعطوف عليه وذلك جائز يقول ابن جني : " وقد حذف المعطوف تارة والمعطوف عليه أخرى ... وتقول الذي ضربت وزيدا جعفر ، تريد الذي ضربته وزيدا فتحذف المفعول من الصلة "[١] وشرط الحذف أمن اللبس يقول المرادي : " يجوز حذف المعطوف عليه لظهوره ويستغنى بالعاطف والمعطوف نحو " بلى وزيدا " لمن قال : ألم تضرب عمرا ؟ ومنه قول العرب " وبك وأهلا وسهلا " لمن قال : مرحبا . "[٢] و مثال حذف المعطوف عليه عند إيليا :

زجرتُ حتى النومَ عن مقلتي ولم أبال اللائمَ الزاجرا[٣]

زجرت كل شيء حتى النوم

٨- استخدام " فيما " بمعنى " بينما " للربط بين جملتين :

ذِكْرى تُحركُ كلَّ قلبٍ ساكنٍ حتى ليَعشقَ بعدها أن يَعْشَقا
فيما على النِّيل النحُوسُ ولم يكن دونَ الخليج ولا الفراتِ تَدَفَّقا[٤]

ربطت فيما بين جملتين في قول إيليا ، والمعنى : التدفُّق حاصل في أوقات تخييم النحوس على النيل ،

وقد وردت " فيما " بهذا المعنى في المستدرك على الصحيحين ،كتاب معرفة الصحابة ، ذِكْر سلمان الفارسي – رضي الله عنه – في حديثه عن بدء إسلامه " وكان فيما يمشي وأنا معهُ يُقْبِلُ عليّ فيعظني ويخبرني أن لي ربّا وأن بين يدي جنة ونارا وحسابا ... "[٥]

والمعنى : الإقبال حاصل في أوقات المشي .

وثَمَّة ظواهر أخرى مثل استخدام اللذ بدلا من الذي في قول إيليا : " ويقول أهلا بالحبيب اللَّذْ أتى"[٦] وقد أرجع النحاة سبب الحذف في كلمة "

---

[١] ابن جني ، أبو الفتح عثمان : الخصائص ، ٢/ ٥٥٢ ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٤٣١ه/ ٢٠١٠م .
[٢] المرادي : توضيح المقاصد ٣/ ١٠٣٢.
[٣] إيليا : الأعمال الكاملة ، عيناك : ص ٣٢٠ (السريع) .
[٤] إيليا : السابق ، قصيدة ١٩١٠ ، ص ٢٢٢ (الكامل) .
[٥] الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله : المستدرك على الصحيحين ٣/ ٦٩٥، ٦٩٦ ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٢ه / ٢٠٠٢م .
[٦] إيليا : الأعمال الكاملة ، مصرع حبيبين : ص (الكامل)١٢٧.

الذي " إلى كثرة الاستعمال [١] ونقل الرضي القول بأن حذف الياء وتسكين ما قبلها للضرورة[٢]

وكذلك يوجد استخدام اسم الفعل " آه " صيغة بديلة للمصدر " الآهة " في قول إيليا :

فَلَهُ إذا ذَكَر الديارَ وأهلَهُ آهُ الغريبِ وأنَّة الثَّكْلان[٣]

اسم الفعل المضارع " آه " في البيت السابق صيغة بديلة لكلمة " آهة " أو " تَوَجُّع " ، واستخدام اسم الفعل " آه" على هذا النحو يعنى أن الشاعر قد جعله اسما عندما قصد لفظه ، وأعربه وأضافه لاسم معرف بأل وهو " الغريب " ، وتعرب " آه الغريب " كما يأتي :

آه : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف .

الغريب : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة .

و ليس الاتجاه السابق بغريب على طرائق العربية في استخدام أسماء الأفعال ، و الحروف وغيرها ، وقد فصَّل سيبويه القول في ذلك في باب تسمية الحروف[٤]

ثالثا : المسائل الصَّرفية :

يحتوي علم الصَّرف أو المورفيمات مجالين رئيسيين :

المجال الأول: يُعْرَف بالمورفولوجيا الإعرابية أو التصريفية **Inflectional morphology** " ويدرس طريقة تصريف الكلمات، لتوضيح الاختلافات النحوية من حيث الإفراد، والجمع، وزمن المضارع و الماضي"[٥].والتعريف والتنكير وغيرها ، و لا يتغيَّر نوع الكلمة في تلك العمليات .

المجال الثاني: المورفولوجيا الاشتقاقية **Derivational morphology** "ويهتم بدراسة قواعد بناء كلمات جديدة، دون الإشارة إلى الوظيفة النحوية

---

[١] انظر : المالقي ، أحمد بن عبد النور : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، ص ٧٦ ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

[٢] الإستراباذي ،: شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ٣/ ٢٥٣ .

[٣] إيليا : الأعمال الكاملة ، معركة بورغاس : ص ٣٤٧ (الطويل).

[٤] سيبويه : الكتاب ٣/ ٢٥٩- ٢٦٢.

[5] **Crystal, David: The Cambridge Encyclopedia of Language, P. 80, Cambridge university press , 1987.**

الدقيقة التي تؤديها الكلمة داخل الجملة"[1] و الاشتقاق **Derivation** يختص بدراسة طرق بناء الكلمات البسيطة والمركبة ، القديمة والحديثة وتتعدد طرق بناء الكلمات الجديدة من نحو الاشتقاق الأصغر أي صوغ الكلمات بإضافة اللواصق وتشمل السوابق **prefixes** ، والدواخل **infixes**،واللواحق **suffixes** أو بطرق الاشتقاق والتوليد الأخرى مثل التركيب المزجي ، أو النحتي أو إيجاد كلمات جديدة بالتعريب ... إلخ

وهذا يُفَسِّر جمع المسائل التالية في القسم الأول الذي يُعالج المسائل الصرفية وهي :

١- استخدام الكلمات المُقْترَضة أو الدَّخِيلة وإهمال الكلمة العربية التي تؤدي المعنى نفسه .

٢- قطع همزات الوصل في غير أنصاف الأبيات ، ووصل همزات القطع وما يشبهها من ضرورات .

٣- اتصال التاء المربوطة بحرف الجر الشبيه بالزائد " رُبَّ " .

٤- إدخال " أل " على كلمة " غير " التي يمتنع فيها ذلك .

٥- استخدام اسم الفاعل في موضع الصفة المشبهة .

٦- كسر همزة القطع في الفعل الثلاثي المزيد بحرف " أمَّن " التي لم تُذْكَر إلا مفتوحة .

المسألة الأولى :

استخدام الكلمات المُقْترضة أو الدَّخِيلة وإهمال الكلمة العربية التي تؤدي المعنى نفسه :

استعمل الشاعر الكلمة الدَّخِيلة " كرباج " ، وأهمل " سوط " وهي كلمة أصيلة في العربية سابقة على وجود تلك الكلمة الدَّخِيلة من اللُّغة التركية " قِرْباج : مقرعة ، سوط "[2] - وهي لغة المحتل الذي هاجر إيليا ورفاقه هربا من اضطهاده - وفي النص الذي ظهرت فيه الكلمة الدَّخِيلة " كرباج " استخدم الشَّاعر ألفاظا تُراثية كثيرة - يحتاج من يقرأها للرجوع إلى المعاجم للتعرّف على معانيها في النص ذاته يقول :

---

(1) **Crystal, David: Ibid , P. 80.**

(2) محمد علي الأنس : قاموس اللغة العثمانية الدراري اللامعات في منتخبات اللغات ، ص ٤١٥ ، جمعه ورتبه : محمد علي الأنس ، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، ١٣٢٠ه / ١٩٠٠م .

وامتنَع السيرُ على النّواجي
رُبَّ جوادٍ لاحقٍ هِمْلاج
معوَّدِ الإلجام والإسراج
والوخَدِ والدَّميلِ و الإهمَاج
أصبح مثلَ العِرْقِ في الاختلاج
مُنعَرِجا في غيرِ ذي انعراج
لو هاجَه الرَّاكبُ بالكُرباج
لما مشى به سوى اعوجاج[١]

كما استعمل الكلمة المـُقترضة من الإنجليزية " راديو " مع وجود الكلمة العربية " مذياع " في قوله :

فهْيَ في الأوراق حِبْر هائجٌ وعلى "الراديو" فحيحُ الكهرباء[٢]

وفي المعاجم الإنجليزية نقرأ :

" radio : … apiece of equipment that is used for receiving and/ or sending radio messages or broadcasts (on a ship , plan, etc. or in the house) : a ship s radio a portable radio مذياع ، راديو ، جهاز إرسال واستقبال . "[٣]

كما تظهر كلمة " كمنجة " فللشاعر قصيدة بعنوان الكمنجة المحطمة[٤] ونقرأ في قاموس اللغة العثمانية : " كامنجة / فا : رباب "[٥] و الرَّباب " آلة لهو لها أوتار يُضْرب بها "[٦] تكرَّرت كلمة الكمنجة عند إيليا على الرغم من سهولة كلمة " الرَّباب " في النُّطق إذا قُورنت بما تستلزمه كلمة " كمنجة " من جهد .

---

[١] إيليا : الأعمال الكاملة ، لأرفعن للسما احتجاجي : ص ٣٩٥ (الرجز) .
[٢] إيليا : الأعمال الكاملة ، عطش الأرواح : ص ٩٠٤ (الرمل) .
[٣] **Oxford wordpower : p : 639 , 10 edition 2015, Oxford university press**
[٤] إيليا : الأعمال الكاملة ، الكمنجة المحطمة : ص ٥٩٥ .
[٥] محمد علي الأنس : قاموس اللغة العثمانية ص ٤٦٨ .
[٦] الزبيدي : تاج العروس ، ربب .

يقول :

كمنجة الشوا عليكِ السلام بهيكل الوحي وعرش الغرام[١]

ويقول :

وكأن زَوْرَك فيه ألف كمنجة وكأن صدرك فيه ألف مردد[٢]

و اللفظ الدَّخِيل هو " لفظ أجنبي دخل العربية دون تغيير "[٣] بأنْ تُكتب الكلمة كتابة صوتية ؛ فتُنْطق الكلمة المقْتَرَضة من الإنجليزية أو التركية مثل نطقها في لغتها الأصلية مع كتابتها بحروف اللغة العربية ، وقد تَدْخُلها بعض التغييرات الطفيفة التي تجعلها تناسب النظام الصوتي للغة الهدف .

وقد يزعم بعض الباحثين أن تفوُّق الكلمات المقترضة قد يرجع إلى قانون الاقتصاد اللُّغوي يقول د/ محمد عياد " وقد يقع قبول الكلمة المقترضة واستعمال الكلمة الأصلية المقابلة لها في اللغة معا في نفس الوقت ، وذلك استجابة لنزعة المجهود الأدنى أو لعدم قبول الكلمة المقترضة للاشتقاق مثل كلمة تليفون فهي دخيلة ، وكان يمكن أنْ تبقى هكذا كلفظ مُقْترض ، ولكن قانون الاقتصاد اللغوي وخفة النطق عوضها بـــ " هاتف " وهي عربية مستساغة ، وأخف من حيث النطق .

لكن عند اشتقاق الفعل وقع استعمال " تلفن " أكثر من " هتف " فالاستعمال يرجِّح تلفن له أكثر من هاتفه .

وهذا تابع في نظرنا لمنطق اللغة في حد ذاتها ولنزعة المجهود الأدنى والاقتصاد في الكلام لدى المتكلمين باللغة . "[٤]

والملاحظة نابعة من المجتمع التونسي الذي يعيش به الباحث ، ثُمَّ يعود الباحث ليستنكر هذا الاتجاه ويلفت إلى خطره الشديد إذ يرى أن خضوع المجتمع لانتشار استعمال تلك الكلمات المقترضة " قد يؤثر على هوية المجموعة البشرية المتكلمة لتلك اللغة إذ إنَّ اللُّغة جزءٌ لا يتجزَّأ من شخصية الإنسان .

---

[١] إيليا : الأعمال الكاملة ، كمنجة الشوا ، ص ٧٩٩ (السريع) .

[٢] إيليا : السابق ، الفيلسوف المجنح ، ص ٦٨٣ (الكامل) .

[٣] عوض بن حمد القوزي : التعريب والتغريب ، ص ٧٧، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ٧٥- ٨٨، ع ١٠٢ ، ٢٠٠٤م .

[٤] د/ محمد الهادي عياد : الكلمة دراسة في اللسانيات المقارنة ص ٥٢٩، ٥٣٠ ، مركز النشر الجامعي ، دار سحر للنشر ، تونس ، أكتوبر ٢٠١٠م .

لذلك يسعى الأفراد جاهدين إلى الحفاظ على لغتهم فهم يلجئون – عند ترجمة مصطلح جديد أو مفهوم جديد – إلى رصيد اللُّغة للبحث فيه عن مقابلات لهذا الجديد ، وإن لم يجدوا ، يشتقون كلمات اعتمادا على ما توفره اللُّغة من إمكانيات ، أو ينحتون مفردات جديدة ، ولا يميلون إلى الترجمة الحرفية إلا عندما يعجزون فعلا عن إيجاد اللَّفظ المقابل ؛ ولذا فإننا نرى أن موضوع مواكبة الحداثة لا تتم عن طريق استسهال الاقتراض والترجمة الحرفية ، وإنما يكون بالبحث في رصيد اللُّغة ."[1]

وقد استخدم البارودي وشوقي بعض الأسماء الأجنبية للمخترعات ولكن ذلك كان قبل تعريبها يقول د / يوسف عز الدين : " ولما جاءت المخترعات الحديثة كالقطار والحافلة " الترام " والساعة دخلت في شعرهم وبعضهم استعمل الكلمات الأجنبية ، إذ لم تكن قد عربت هذه المخترعات فقد قال البارودي :

لقد نَعِب الوابور بالبين بينهم فساروا ولا زَمُّوا جمالا ولا شدوا

كما دخلت في الشعر كلمات أجنبية مثل " أفندي " و" التنك " و" براندي " وقد استعمل شوقي بعض هذه الكلمات بمثل قوله :

بطل البداوة لم يكن يغزو على تنك ولم يركب الأجواء

واستعمل في شعره " فرند " والبايب والبرلمان وغيرها مما تحتاج إليه المناسبة وتفرضها الدقة . "[2]

أمَّا بعد أنْ استوعبت الفصحى جزءا من هذه الكلمات الأجنبية فيجب العدول عن المعرَّب واستخدام اللفظ الفصيح الموضوع للتعبير عن المخْتَرَع الأجنبي إذا لم يَبْعُد عن دِقَّة البيان وقيد عدم البعد عن دِقَّة البيان رجعه أنَّ بعض الألفاظ الفصيحة قد لا تصمد " أمام الدخيلات المعَرَّبة فالمصْدِىء لم تصمد أمام الأكسجين ... ولا علم الهلك أمام الجيولوجيا لكونها بعيدة عن دقة البيان وقاصرة عن أداء المعنى .

المعاجم تُعَرِّف الفصيح من الكلام بأنه : السليم الواضح الذي يدرك السمع حسنه والعقل دقته ، والذي تبين بدلالته الأشياء .

---

[1] د/ محمد الهادي عياد : الكلمة دراسة في اللسانيات المقارنة ، ص ٥٣٠ .

[2] د/ يوسف عز الدين : وسائل الإعلام بين العامية والعجمة ، ص ١٣٧، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٣٥-١٤٥ ، ع ١٠٢، ٢٠٠٤م .

فالدم لا يصدأ في الرئتين بل يُؤَكْسَج "[1] أي يُنَقَّى ، وقد جرت الأمور على أنْ تُرَتَّب أولويات استخدام الألفاظ فنبدأ بما اشْتُقَّ من مادة عربية ثم المعرَّب وهو " لفظ أجنبي غيره العرب " [2] ثم الدَّخِيل أو المقْتَرَض وإذا كانت الكلمات المقْتَرَضة التي استخدمها إيليا لا تتفوق على الكلمات العربية الأصلية في دقة البيان فلا يمكن الاعتذار عنه في استخدامه لها .

المسألة الثانية : قَطْع همزات الوَصْل في غير أنصاف الأبيات ووصل همزات القَطْع وما يشبهها من ضرورات :

احتاج إيليا إلى التَّخَلُّص من عيوب الوَزْن في بعض الأبيات فقطع على سبيل المثال همزة كلمة " اسم " وهمزة الفعل الماضي الخماسي " انقاد " ، وهي رُخْصة تُخالِف القَاعدة الصَّرفية التي تَقْضِي بأن الأفعال الخماسية والسداسية المبدوءة بألف تكون أَلِفُها أَلِفَ وَصْلٍ وكذلك ألف بعض الأسماء مثل " اسم " و" امرأة " و" اثنين " إلخ ، والرُّخْصة " ما جاز استعماله لضرورة الشعر "[3] وخروج الأحكام النَّحوية والصَّرفية المُرَخَّص فيها على القاعدة التي هي معيار الصِّحة يجعل " الرُّخْصة يُعْتَذر عنها "[4] إذا لم يكن اللُّجوء لهذه الرُّخْصة استثمارا لإمكانات تعبيرية وإيثارا لما يُبْرز معنى بعينه ، فإذا اقترنت الرُّخْصة بالحاجة إلى التَّخَلُّص مِنْ عيوب الوزن وحَسْب دخلت فيما يُرْمَى بالضعف والتَّنَقُّص والحاجة إلى الاعتذار عنها .

وقد لاحظ العلماء اضطرار الشعراء إلى قطع همزة الوصل في أول النصف الثاني من البيت ، وعلل سيبويه ذلك بأن أنصاف الأبيات " مواضع فصول فإنما ابتدءوا بعد قطع "[5] و يقول السيرافي " ومن ذلك قطع ألف الوصل وأكثر ما يكون في أول النصف الثاني من البيت قال حسان بن ثابت :

لتسمعن وشيكا في دياركم أله أكبر يا ثارات عثمانا

---

[1] أحمد شفيق الخطيب : التنمية اللغوية ، ص ٢٥٣، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢٥١- ٢٥٨ ، ع ١٠٢، ٢٠٠٤م .

[2] عوض بن حمد القوزي : التعريب والتغريب ، ص ٧٧ .

[3] الفاسي ، أبو عبد الله محمد بن الطيب (ت ١١٧٠ه) : فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح وفي أعلاه الاقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي ، ١/ ٣٢٥ ، تحقيق وشرح : أ . د / محمود يوسف فجال ، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، الإمارات العربية ، ط أولى ، ١٤٢١ه / ٢٠٠٠م .

[4] تمام حسَّان : البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ١/ ١٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م

[5] سيبويه : الكتاب ٤/ ١٥٠ ويروى البيت في الديوان :

لتسمعن وشيكا في ديارهم أله أكبر يا ثارات عثمانا

انظر : حسان بن ثابت : ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د/ سيد حنفي حسنين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر القاهرة ٢٠٠٨ م .

فقطع ألف الوصل في قوله " الله " [١]

ويختلف حكم قطع همزة الوصل في حشو البيت يقول ابن عصفور : " وقد يقطع في حشو البيت ، وذلك قليل ، ومنه قول قيس بن الخطيم :

إذا جاوز الإثنين سر فإنه بنث وتكثير الوشاة قمين " [٢]

وما جاء في شعر إيليا من هذه الظاهرة لم يأت في أنصاف الأبيات ، وإنما جاء في الحشو، ومن ذلك :

لو لم تقاتلْهُمُ بالجيش قاتلَهمْ جيشٌ بغير سلاحٍ إسمه الوَهَل [٣]
وكلَّما انقادتِ الدنيا وصار له زمامُها إنقاد للآثام طغيانا [٤]

وقطع همزة الوصل هنا مخالفة مقبولة جاءت تخلُّصا من الخروج على الوزن ، وهو من الضرائر المندرجة في زيادة الحروف ، ويتصل بذلك النوع من الضرورات أيضا مد بعض الحروف كما في قول إيليا :

أقولُ : لو آني ... كي أُبرِّدَ لوعتي فيزدادُ شَجْوي كلّما قلتُ لو أني ! [٥]

وربما أراد الشاعر نقل الإحساس بامتداد الندم و الحسرة والحزن عن طريق مد الحرف كما عبَّر عن امتداد الشكوى والألم في قوله :

ولو آنَّه في الرأس كنتُ ضَمَدْتُه لكنّه في القلب لا في الراس[٦]

ومدّ الحروف في هذه المواضع طريقة مخصوصة من طرائق التعبير عن امتداد الألم وتنامي الندم ،جرى عبر استغلال الإمكانات التعبيرية لتلك الأصوات وهي مثال للضرورة التي لا يعتذر عنها .

---

[١] السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله : ما يحتمل الشعر من الضرورة ، ص ٧٦، تحقيق وتعليق : د/ عوض بن حمد القوزي ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ه / ١٩٨٩م .

[٢] ابن عصفور الإشبيلي : ضرائر الشعر ، ص ٥٤ ، تحقيق : السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان ، ط الثانية ، ١٤٠٢ه / ١٩٨٠ م وقول قيس بن الخطيم في الشافية ٢/ ٢٦٥ وشرح المفصل ٩/ ١٣٧وفي السيرافي ص ٧٩ ويروى :

إذا جاوز الإثنين سر فإنه بنث وإفشاء الحديث قمين

ويروى في ديوانه :

إذا جاوز الإثنين سر فإنه بنثر وتكثير الحديث قمين

انظر : قيس بن الخطيم : ديوان قيس بن الخطيم ص ١٦٢، تحقيق : د/ ناصر الدين الأسد ، دار صادر بيروت ، ط ٣ ١٤١١ه / ١٩٩١م .

[٣] إيليا : الأعمال الكاملة ، سقوط أرضروم : ص ٤٣٥ (البسيط) .

[٤] إيليا : السابق ، الإنسان والدين : ص ٨١ (الإنسان والدين ، ولذلك شواهد أخرى عديدة في شعر إيليا .

[٥] إيليا : السابق ، أبي : ص ٧٤٧ (الطويل).

[٦] إيليا : الأعمال الكاملة ، لم يبق غير الكأس : ص ٧٢٣ (الكامل) .

كما أن إيليا لا يحذف ياء الاسم المنقوص حين يكون نكرة مرفوعة إذا اضطرّ كما في قوله :

لا رايةٌ لكمُ يدافِعُ دونها مُرْدُ العوارضِ والحُتوفُ دواني[1] (٢)

يتحدث ابن عصفور عن عدم حذف ياء الاسم المنقوص في تلك الضرورات التي يزيد بها حرف فيقول : " ومنها : إثبات حرف العلة في الموضع الذي يجب حذفه فيه في سعة الكلام إجراء للمعتل مجرى الصحيح نحو قول جرير :

فيوما يجاذبن الهوى غير ماضي ويوما ترى منهن غولا تغولُ

... كان الوجه في جميع ذلك أن يقال : غير ماضٍ ، مولى موالٍ ، وخريع دوادٍ ، ومن يعيلٍ ، لولا الضرورة . "[3] وتوجد مظاهر للضرورات التي بنقص حرف مثل وصل همزة القطع[4]كما في قول إيليا :

المعرضينَ عن الخَنا فإذا عَلا صوتٌ يقول : "إلى المكارم" اقدَموا[5]

و تسكين المتحرك كما في :

لا تسأليني لِمْ سهدْتُ فإنني لو كان في وُسْعي الكرى لمْ أسْهد[6]

وتسكين ميم "لِمَ" الاستفهامية هي مما يجوز للشاعر يقول القزاز : " ومما يجوز له : سكون الميم في (لِمَ) في الاستفهام ، إذا قلت : لِمَ فعلت ذاك ؟ فتحرك الميم ، ويجوز للشاعر أن يسكن الميم في مثل هذا ؛ ومنه قول الشاعر :

فَلِمْ دفنتم عبيد الله في جدث ولِمْ تعجلتم ولِمْ تروحونا

فأسكن لِمْ في الموضعين اضطرارا . "[7]

وقد سكّن إيليا آخر الماضي كما في قوله :

---

[1] إيليا : السابق ، الحرب العظمى : ص ٤٠٣ (الكامل).

[2] -

[3] ابن عصفور : ضرائر الشعر ، ص ٤٢، ٤٣ ، وعند السيرافي ص ٦٦ ، والشاهد في سيبويه ٣/ ٣١٤يروى : فيوما يوافيني الهوى غير ماضي ويوما ترى منهن غولا تغولُ

[4] انظر : ابن عصفور : الضرائر ، ص ١٠٠ .

[5] إيليا : الأعمال الكاملة ، كم تشتكي : ص ٨١٦ (الكامل).

[6] إيليا : الأعمال الكاملة ، ما للكواكب : ص ٤٤٤ (الكامل).

[7] القزاز القيرواني : ما يجوز للشاعر في الضرورة ، ص ٣١٨ ، تحقيق : د/ رمضان عبد التواب ، د/ صلاح الدين الهادي ، دار العروبة بالكويت ، دار الفصحى بالقاهرة ، ١٤٠١ه / ١٩٨١م .

وقوامٌ لو رآه الغصنُ بانْ خجلا من ذلك الغُصنِ الرطيب[1]

وهي أيضا مما يجوز للشاعر[2] ويقع في المخالفات المقبولة .

المسألة الثالثة :

اتصال التاء المربوطة بحرف الجرِّ الشبيه بالزائد " رُبَّ " في قول إيليا :

ورُبَّة ساهرٍ في بعلبكٍ يشاطرُ جفنُه النجمَ السُّهادا[3]

رُبَّ " هي حرف يكون لتقليل الشيء في نفسه ؛ ويكون لتقليل النظير "[4] وهي من الحروف التي تتصل بها تاء التأنيث المفتوحة ، يقول ابن عصفور : " التاء تنقسم قسمين : قسم يُحْكَم عليه بالأصالة ولا يحكم عليه بالزيادة إلا بدليل ، وقسم يحكم عليه بالزيادة أبدا ولا يكون أصلا .

فالقسم الذي يحْكَم عليه بالزيادة : التاء التي في أوائل أفعال المطاوعة نحو قولك كسَّرته فتكسَّر وقطَّعته فتقطَّع ودحرجته فتدحرج ... وتاء التأنيث نحو : قامت وخرجت وقائمة وخارجة ورُبَّتَ وثمَّتَ ولاتَ "[5] ويتحدث المالقي عن خصائص " رُبَّ " مُشيرا إلى أنَّ تاء التأنيث التي تلحق بها هي المفتوحة فيقول : " ومنها أن تاء التأنيث تدخل عليها مفتوحة كـ " لات " فنقول رُبتما يقوم زيد قال الشاعر :

أقُرةُ ربتما ليلةٍ غبقتك فيها صريح اللبن " [6]

ومن المألوف في كتب النحو أنْ تُناقَش ظاهرةُ إبدال التاء المربوطة تاءً مفتوحةً على خلاف القياس المتَّبع في الكتابة العربية يقول سيبويه: " وتاء الجميع أقرب إلى التاء التي هي بمنزلة ما هو من نفس الحرف من تاء طلحة لأن تاء طلحة كأنها منفصلة .

---

[1] إيليا : الأعمال الكاملة ، طبيبي الخاص : ص ١٦١ (الرمل) .
[2] انظر : ابن عصفور : ضرائر الشعر ، ص ٨٧، ٨٨ .
[3] إيليا : الأعمال الكاملة ، أيها الراعي : ص ٥٣٩(الوافر) .
[4] المالقي : رصف المباني ص ١٨٨ .
[5] ابن عصفور : الممتع الكبير ، ص ١٨١.
[6] المالقي : رصف المباني ، ص ١٩٢ ، والبيت من قصيدة حنظلة الخزاعي لولده قُرَّة لما أراد الهجرة ومنها :
أقول لقرة إذ سولت له النفس ترك الكبير اليفن
انظر : القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون : كتاب الأمالي ، ٢/ ٣٠٥ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ط ٣ ، ١٤٢١ه / ٢٠٠٠م .

وزعم أبو الخطاب أنَّ ناسا من العرب يقولون في الوقف طلحت كما قالوا في تاء الجميع قولا واحدا في الوقف والوصل . "[1] فتاء الجمع مثل " مسلمات " وغيرها لا تتأثر بالوقف والوصل ،ويقول ابن جني : " وكذلك لما شبهوا الوقف بالوصل في نحو قولهم : عليه السلام والرحمت وقوله : بل جَوْزِ تيهاءَ كظهرِ الجَحَفَتْ

وقوله :

الله نجاك بكفيّ مُسْلِمَتْ من بعدِ ما وبعدِما وبَعْدِمَتْ
صارت نفوس القوم عند الغَلْصَمَتْ وكادت الحُرَّةُ أن تُدْعَى أمَتْ "[2]

فهناك لهجات تُنطَق فيها التاء المربوطة في الوقف تاء مفتوحة ، والأصل أنْ تُنْطَق التاء المربوطة هاء في الوقف ، والوقوف عليها هاء دفع بعض النحاة إلى القول بأنَّ أصل التاء المربوطة هاء ،

يقول المالقي :" فاعلم أنَّ الكوفيين يزعمون أنها هاء في الأصل ؛ لأنَّ الوقف عليها هاء ، وليس ذلك بصحيح لأن الوقف عارض واللفظة تاء ، وهو الأصل ، فلا يعدل عن الأصل إلا بدليل قاطع ... العرب قد وقفت على هذه التاء على الأصل من غير بدل إلى الهاء "[3] وقد أورد المالقي الشواهد التي ذكرها ابن جني ، وما سبق يعني أنَّ المألوف وجود نقاشات حول إبدال التاء المربوطة تاء مفتوحة ، ولكن أنْ يجعل إيليا التاء المفتوحة تاء مربوطة في " ربة " فهذا غير مألوف ، ولم يرد في أيَّة لغة من لغات " رُبَّ " " وهي سبع عشرة لغة وهي " رب" بضم الراء وفتحها كلاهما مع تخفيف الباء ، وتشديدها مفتوحة فهذه أربع . و " ربتْ " بالأوجه الأربعة ، مع تاء التأنيث الساكنة . و" ربتَ " بالأوجه الأربعة مع تاء التأنيث المتحركة و " ربْ " بضم الراء وفتحها مع إسكان الباء و " رب " بضم الراء والباء معا مشددة ومخففة و " رُبَّتا "[4]

وربما أراد إيليا أنْ يجعله ضمير الغائب المذكر ويقف عليه ثم يُجريه مُجرَى هاء التأنيث كما جاء عن بعض العرب يقول المالقي " كما أنه قد جعلوا التاء المذكورة هاء إجراء للوصل مُجرَى الوقف في العدد فقالوا ثلاثهْ أربعهْ وليس في ذلك حجة للكوفيين لقلته كما أنهم أجروا هاء الوقف مجرى هاء التأنيث قال الشاعر :

---

[1] سيبويه : الكتاب ٤/ ١٦٧.
[2] ابن جني : الخصائص ، ١/ ٢٤٦ ، والبيتان في الشافية ٢/ ٢٨٩، ٢٩٠ ، وفي شرح المفصل ٥/ ٨٩، ٩/ ٨١.
[3] المالقي : رصف المباني ص ١٦١، ١٦٢.
[4] المرادي ، الحسن بن قاسم : الجنى الداني في حروف المعاني ، ص ٤٤٧، ٤٤٨ تحقيق : د/ فخر الدين قباوة ، أ : محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١٣ه / ١٩٩٢م .

العاطفونة حين ما من عاطف والمسبغون يدا إذا ما أنعموا "[1]

ولكن يمنع اعتبار التاء ضمير الغائب الذي أجري مجرى التأنيث في " رب " عدم وجود تمييز منصوب بعدها فـ " إنْ دخلت " رُبَّ " على مُضمر فلا يكون إلا مُفَسَّرا بنكرة منصوبة نحو : ربَّه رجلا ... ولا يثنى هذا الضمير ولا يؤنث بل يبنى على صورة المذكر المفرد وما كان من تذكير أو تأنيث أو تثنية أو جمع ففي التفسير بعده وحكى الفراء التأنيث والجمع والتثنية فيه وذلك قياس على باب نعم وهو شاذ فيه . " [2]

ولذلك فلا وجه لإلحاق إيليا التاء المربوطة بـــــــ " رُبَّ " .

المسألة الرابعة :

: إدخال الألف واللام على كلمة " غير " التي يمتنع فيها :

وامتناع اقتران "أل " بـ " غير " رَجْعه توغّلها الشديد في الإبهام بحيث لا تُفيدها الألف واللام تحديدا وتعيينا بعد الإبهام والشيوع وقد ظهرت هذه الكلمة مُعَرَّفة بأل في قول الشاعر :

لا تكن مُرّا ولا تجعلْ حياةَ الغيرِ مرّة[3]

وقد أشار المبرد إلى إغراق كلمة " غير " في الشيوع بقوله : " فأما " غيرك " إذا قلت : مررت برجلٍ غيرك فإنما هو : مررت برجل ليس بك ، فهذا شائع في كلّ مَنْ عدا المخاطب "[4]

و منع سيبويه دخول الألف واللام على " غير " يقول في باب ما يُحَقَّر لدنوّه من الشيء وليس مثله " ولا يحقّر " غير "لأنها ليست بمنزلة " مثل " وليس كل شيء يكون غير الحقير عندك يكون محقّرا مثله ، كما لا يكون كل شيء مثل الحقير حقيرا ، وإنما معنى " مررت برجل غيرك " معنى " مررت برجل سواك " ، و" سواك " لا يحقر لأنه ليس اسما متمكنا وإنما هو كقولك : مررت برجل ليس بك ، فكما قبح تحقير " ليس " قبح تحقير " سوى " . و " غير " أيضا ليس باسم متمكن ألا ترى أنها لا تكون إلا نكرة ولا تُجمع ولا تدخلها الألف واللام . "[5]

---

[1] المالقي :رصف المباني ص ١٦٣ وللبيت رواية أخرى تتصل فيها التاء بالحين ، انظر : ابن عصفور :الممتع ص ١٨٢.

[2] المالقي : السابق ص ١٩٠.

[3] إيليا : الأعمال الكاملة ، الغبطة فكرة : ص ٧٩٤ (مجزوء الرمل).

[4] المبرد : المقتضب ، ٤/ ٢٨٩ .

[5] سيبويه : الكتاب ٣/ ٤٧٩ .

وربما قُصِد بعدم التمكُّن نقص عدد السمات التي تعدّ لها مقارنة بغيرها من الكلمات التي لم يلابسها الإبهام الشديد والشيوع ، وقد يُقصَد بأنها لا تُجمع أي حين تكون بمعنى " لا " فتعرب حالا كما في قوله تعالى (غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ)[1] أو بمعنى " إلا " فيُستثنى بها .

والحكم بمنع الاتصال بالألف واللام جاء في الأصل لـ " غير " في عديد من المواضع ثُمَّ عُمِّم على أخواتها يقول المبرد : " وتكون حالا فتنصب لأنَّ " غيرا " وأخواتها يكنّ نكرات وهنّ مضافات لا معارف ، هذا الوجه فيهن جُمَع ، وهو في " غير " خاصة واجب لما تقدَّم ذكره "[2]

والمبرد يتحدَّث هنا عن كلمات نحو : " غير ، مثل" فقد ترتّب على عدم اكتساب هذه الكلمات التعريف من إضافتها إلى المعارف أنْ تعرب حالا ، وأنْ تُوصف بها النكرة .

ونقل الصبان في حاشيته " أن هذه الكلمات كما لا تتعرَّف بالإضافة إلا فيما استُثني لا تتعرف بأل ؛ لأن المانع من تعريفها بالإضافة مانع من تعريفها بأل أ.هـ ، ونقل الشنواني عن السيد أنه صرح في حواشي الكشاف بأن " غير " لا تدخل عليها " أل " إلا في كلام المُولَّدين "[3]

فالتوغّل في الإبهام المانع من تعريفها بالإضافة حين تضاف إلى معرفة في نحو " غيرك " لأن "غيرك " أو " مثلك " لا يمكن حصره منع هذا التوغلُ أيضا وجودَ وظيفة للألف واللام فيها، ومن ثَمَّ امتنع الفصحاء عن إدخال الألف واللام عليها ؛ فكلمة " غير " فيها من الإبهام والشيوع في رأي سيبويه والمبرد والصبان ومَنْ وافقهم ما يحول دون اكتسابها التخصيص والتحديد ، ولذلك تلازم التنكير والإضافة ، وتكون على نية الإضافة إنْ أُفْردت يقول ابن يعيش : " فهذه الأسماء كلها تلزم الإضافة ، ولا تفارقها، وإذا أفردت كان معناها على الإضافة ؛ ولذلك لا يحسن دخول الألف واللام عليها ، فلا يقال المثل ولا الشبه ولا الكل ولا البعض لأن ذلك كالجمع بين الألف واللام ومعنى الإضافة من جهة تضمنها معنى الإضافة فصارت الإضافة فيها كالملفوظ بها وذلك من قِبَل أن " مثلا " يقتضي مماثلا وشبها يقتضي مشبها به وكذلك سائرهما من نحو قيد

---

[1] المائدة / ١ .

[2] المبرد : المقتضب ٤/ ٤٢٣ .

[3] الصبان ، محمد بن علي : حاشية محمد بن علي الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية بن مالك ٢/ ٢٥٠، ٢٥١ ، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد ، دار الفكر للطباعة والنشر .

وقدا وقاب وقيس كلها مقادير لا تذكر إلا مع المقدّر به وكذلك أي وبعض وكل وكلا الإضافة فيها لازمة ... ومنها ذو التي بمعنى صاحب . "[1]

ولم أتناول في هذا السياق اتصال كلمتي " بعض " و " كلّ " بالألف واللام في شعر إيليا[2]؛ لأنَّ منع اتصال " بعض " و "كلّ " بالألف واللام أو عدم استحسانه ليس مما يُجْمِع عليه النحاة ؛ فاتباعه تحرُّزٌ ممن يمنعه أو لا يستحسنه ، يقول ابن هشام على سبيل المثال في باب البدل : " وأقسامه ستة أحدها بدل كلّ من كلّ وهو عبارة عمّا الثاني فيه عين الأول كقولك جاءني محمد أبو عبد الله وقوله تعالى (مَفَازًا (31) حَدَائِقَ)[3] .

وإنما لم أقل بدل الكل ّمن الكلّ حذرا من مذهب من لا يجيز إدخال " أل " على " كلّ " وقد استعمله الزجاجي في جُمـــَلِه و اعْتُذر عنه بأنَّه تسامَح فيه مُوافقةً للناس . "[4]

والحديث عن الحذر الذي تمسَّك به من منع إدخال الألف واللام على " بعض " و" كلّ " وليس الاحتراز من الخطأ ، ووجود تلك الكلمات محلاة بأل في كلام النحاة القدماء أنفسهم يجعل المسألة تخرج عن نطاق المسائل التي أجمع النحاة على خطئها ومجانبتها الصواب إلى المآخذ التي تتعلّق باستعمال غير الأصوب مع جوازه وظهوره في الاستعمال ؛ فالمسألة هنا تتصل بدرجات الاستعمال ، وليس بالصواب والخطأ .

المسألة الخامسة :

استخدام اسم الفاعل في موضع الصفة المشبهة :

ترنّحَ عصرُكمْ فخرا وهشَّتْ لصنعكمُ عِظامُ المائِتينا[5]

أراد الشاعر أنْ يجمع بين فخر الأحياء الذين قرَّت أعينهم برؤية ما يفخرون به في الأبناء وترنَّحوا نشوةً في " ترنَّح عصركم فخرا " ، وامتنان الأموات الذين تظلّ أرواحهم مُحَلِّقةً مُمْتنةً لأحفاد حافظوا على العهد في " هشَّت لصنعكم عظام المائتينا " ، وللطباق أثره البالغ في إنتاج دلالة الشُّمول

---

[1] ابن يعيش : شرح المفصل ٢ / ١٢٩ ، ١٣٠ .

[2] وردت " كل " معرفة بأل في ثمانية مواضع انظر الصفحات : ١٣٢، ١٤٦، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٤ ، ٥٦٧، ٧٩٠، ١١٠٥، كما ظهرت " بعض " معرفة بأل في موضعين ، انظر الصفحات : ١٤٣، ٢٥٦.

[3] النبأ / ٣٠، ٣١ .

[4] ابن هشام ، أبو محمد عبد الله جمال الدين : شرح قطر الندى وبل الصدى ومعه كتاب نهج التقى بتحقيق وإعراب شواهد قطر الندى لمحمد جعفر - إبراهيم الكرباسي ، ص ٤٢٤ ، دار و مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠ م .

[5] إيليا : الأعمال الكاملة ، تل شيحا : ص ٨٢٦ (الوافر) .

بالجمع بين جانبين متقابلين ، فالأحياء والأموات جميعهم قد أطبقوا على الفخر بالأبناء ؛ فلا انسراب ولا استثناء لأحد ، غير أنَّ الشاعر لم يُوَفَّق في عملية الاشتقاق التي كان يُفترض أنْ تُعِين على بناء الطباق ؛ لأنَّ صيغة اسم الفاعل تعني من أوشك على الموت ، وليس ذلك بنقيض للحي ؛ فلا وجود للجمع بين الشيء وضده في ثنائية الموت والحياة ، وهو الجمع الذي يتحقق به الطباق ، وكان ينبغي على الشاعر أنْ يأتي بالصفة المشبهة " ميِّت " التي " تدل على صفة ثابتة في صاحبها ، فهو قد حدث موته ، ودام ، وسيدوم فيه قرونا وقرونا . "[١] وجمعها " ميتون " أو " أموات " وليس " مائت " و جمعها " مائتون" التي تدل على شيء " لا يدوم ولا يثبت "[٢]

فالسياق يتطلب الدلالة على الثبوت والاستمرار ، وهذا ما تختص به الصفة المشبهة ، وليس اسم الفاعل الذي يرتبط بالانتقال والتحوُّل أي يدل على أمر وقتي زائل[٣] وقد فرق النحاة بين دلالات واستخدامات اسم الفاعل والصفة المشبهة حيث تختص كل منهما بمواضع لا تصلح فيها الأخرى فالصفة المشبهة تدل على أمر ثابت في صاحبه على وجه الدوام يقول شكري السعدي : " الصفة المشبهة قد تشارك اسم الفاعل في المضمون التصوري ، ويحصل الفرق بينهما بتحويل صيغة الصفة المشبهة إلى وزن " فاعل " إذا أريد النص على الحدوث ، وذلك لأن هذا الوزن موضوع للحدوث بقطع النظر عن المضمون التصوري المتصل به والذي قد يفيد في نفسه الحدوث أو الثبوت " [٤] ويقصد بالمضمون التصوري المعنى المستفاد من الجذر ، فالجذور الدالة على الحدث يشتق منها اسم الفاعل ، والجذور الدالة على الثبوت يشتق منها الصفات المشبهة .

و يفرق د/ فاضل السامرائي بين معنى الصفة المشبهة واسم الفاعل في الأمثلة التالية حيث يقول : " تقول: (هو كريم) أي: هو متصفٌ بالكرم على وجه الاستمرار، فإذا أردت أنه سيقع منه كرم في الغد قلت: (هو كارم غداً) ، ولا تقول: (هو كريم غداً) . وكذلك إذا وقع منه كرم في الماضي قلت : (هو كارم أمس) ولا تقول: (هو كريم أمس). ومثله : (هو جواد) أي : هو الآن متصف بالجود على وجه الاستمرار، فإذا أردت أنه جاد بالأمس قلت: (هو جائد

---

[١] د/ فخر الدين قباوة : تصريف الأسماء والأفعال ، ص ١٤٩، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ه / ١٩٨٨م .

[٢] د/ فخر الدين قباوة : السابق ، ص ١٤٩ .

[٣] انظر : شكري السعدي : مقولة الحدث الدلالية في التفكير اللغوي بحث في الأسس الدلالية للبنى النحوية ص ٢١٠، ٢١١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان ، ط أولى يونيو ٢٠١٣ م .

[٤] شكري السعدي : السابق ، ص ٤٢٨ .

بالأمس) ولا تقول: (هو جواد غداً). ومثله: فرح وفارح وحسن وحاسن، فإذا قلت: (كان كريماً فيما مضى) كان المعنى أنه كان متصفاً بالكرم في الماضي على وجهة الاستمرار واللزوم . "[1] وفي كلام د/ شكري السعدي و د/ فاضل إشارة إلى أنه إذا أريد النص على الحدوث يقوم المتكلم بتحويل صيغة الصفة المشبهة إلى وزن فاعل كما في جائد وهذا لا يتسق مع المعنى الذي جاء في بيت إيليا .

المسألة السادسة : كسر همزة القطع في الفعل الثلاثي المزيد بحرف " أمَّن " التي لم تُذْكَر إلا مفتوحة

وقد ظهر الفعل مكسور الهمزة في قوله :

حَسْبُ مصرٍ أنها الأرضُ التي إمِّن اللهُ بها البيتَ الحراما[2]

الأصل " أمَّن " على " فعَّل " ، ولكن الشاعر وَهِم في همزة القطع التي هي فاء الفعل في بداية الثلاثي المزيد بتشديد العين فجعلها كحرف المضارعة الذي في بداية الثلاثي الذي على وزن " فِعَل " أو الفعل الذي في أوله ألف وصل حيث يجوز فيه الكسر يقول سيبويه في باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثاني الحروف حين قلت فَعِلَ " وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز وذلك قولهم : أنت تِعلم ذاك ، وأنا إعلم وهي تِعلم ونحن نِعلم ذاك .

وكذلك كل شيء فيه فَعِل من بنات الياء والواو التي الياء والواو فيهن لام أو عين وذلك قولك شَقِيت فأنت تِشقى وخَشيت فأنا إخشى وخلنا فنحن نِخال وعَضِضْتُن فأنتن تِعْضضن وأنت تِعضين . "[3] و يقول الثمانيني : " إذا كان الماضي على فَعِل أو في أوله ألف وصل فالعرب تختلف في حروف المضارعة منه ، فأفصح اللغات فيه الفتح نحو علم يَعلم واستخرج يَستخرج ، فهؤلاء يفتحون جميع حروف المضارعة من الهمزة والنون والتاء والياء ، فيقولون أنا أعلم ، وأنت تَعلم ، ونحن نَعلم ، وهو يَعلم ، وأنا أستخرج ، ونحن نَستخرج ، وأنت تَستخرج ، وهو يَستخرج وهذه أفصح اللغات وهو الأصل لجميع اللغات .

والمذهب الثاني : هو نقيض لهذا المذهب وهو أن يكسروا جميع حروف المضارعة وإن كانت الكسرة في الياء ثقيلة فهم يتحملونها فيقولون : أنا إعْلم

---

[1] د / فاضل السامرائي : معاني الأبنية في العربية ، ص ٦٥ ، دار عمار ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ .
[2] إيليا : السابق ، مصر والاحتلال ص ٩٩٨ (الرمل) .
[3] سيبويه : الكتاب ٤/ ١١٠ .

ونحن نِعْلم وأنت تِعلم وهو يعلم وأنا إسْتَخْرِج ونحن نِستخرج وهو يستخرج وقد قرئ بذلك كله "[1]

ففي قوله تعالى (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ)[2] وردت قراءات متعددة فقد " قرأ علي وابن مسعود " يختطف " وقرأ أبي " يتخطف " وقرأ الحسن أيضا " يَخَطَّف بفتح الياء والخاء والطاء المشددة وقرأ الحسن أيضا والجحدري وابن أبي إسحاق " يخَطِّف " بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء المكسورة وأصله يختطف وقرأ الحسن أيضا وأبو رجاء وعاصم الجحدري وقتادة " يخطف " بفتح الياء والخاء والطاء المشددة وقرأ أيضا الحسن والأعمش يخِطِّف بكسر الثلاثة وتشديد الطاء . "[3] وقد فسَّر ابن جني قراءة الكسر يقول : " ومنهم من يكسر حرف المضارعة إتباعا لكسرة فاء الفعل ما بعده فيقول يخِطِّف وأنا إخِطِّف . "[4] وكذلك فإن كسر الهمزة في بداية الكلمة خاص بالأسماء والصفات يقول سيبويه في أبنية الأسماء والصفات " ويكون فِعَلا في الاسم نحو : إبل وهو قليل لا نعلم في الأسماء والصفات غيره . "[5] ويقول في موضع آخر :" ويكون على فِعَّل فيهما فالاسم نحو : القِنَّب و القِلَّف والإمَّر والصفة نحو : الدِّئَّب والإمَّعة والهيَّخ "[6] و يقول الثمانيني : " فأما قولهم إمَّع و إمَّعة فلا يخلو أن يكون وزنه " إفْعَلا " أو " فِعَّلا " ولا يجوز أن يكون إفعلا لأن " إمَّعا " صفة وليس في الصفات إفعل وإنما " إفعل " يختص الأسماء كقولهم إشفى وإذا بطل أن يكون إفعلا فهو فِعَّل "[7]

ويشبه َما نحن فيه من كسْر إيليا همزة " إمَّن " على الوهم ظهور تشديدٍ لحروف لا تقبل التشديد :فقد شدد فاء الكلمة على غير قياس بما لا يمكن معه نطق كلمة " تظَّلتم " في قوله :

ولقد تظَّلتمْ بأشجارٍ فهل رقَّت غصونٌ فوقكمْ كغُصوني ؟[8]

---

[1] الثمانيني ، عمر بن ثابت : شرح التصريف ، ١٩٥- ١٩٧ ، تحقيق : د/ إبراهيم سليمان البعيمي ، مكتبة الرشد ، الرياض ط أولى ، ١٤١٩ه / ١٩٩٩م ، وانظر : الإستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب ١/ ١٤١.

[2] البقرة / ٢٠ .

[3] أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف : تفسير البحر المحيط ، ١/ ٢٢٧ ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط أولى ١٤٢٢ه / ٢٠٠١م .

[4] ابن جني ، أبو الفتح عثمان : المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١/ ١٤٠ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩ه / ١٩٩٨م .

[5] سيبويه : الكتاب ٤/ ٢٤٤.

[6] سيبويه : السابق ٤ / ٢٧٦.

[7] الثمانيني : شرح التصريف ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣.

[8] إيليا : الأعمال الكاملة ، شبح : ص ٨٠٣(الكامل) .

رابعا : المسائل النحوية :

١- رفع ما وجهه النصب على الحالية .

٢- كسر همزة " إنَّ "حيث يجب فتحها .

٣- رفع الفعل الذي حقه الجزم في جواب الطلب .

٤- استخدام " إنْ " الشرطية مكان " أن " المصدرية .

٥- مجيء جواب الشرط جملة اسمية غير مقترنة بالفاء .

٦- صرف الممنوع من الصرف .

المسألة الأولى : رفع ما وجهه النصب على الحالية : في قول إيليا

لمن الخميسُ خوافقٌ راياته متماسك الأجزاء كالبنيان ؟[١]

والصواب : خوافقا .

وذلك أنَّ " خوافقا راياته " حال مُؤكّدة لمضمون الجملة تُسْتَخدم لتوكيد الخبر وهو " الخميس " أي الجيش الكبير ، وتقرير مؤدَّاه ، ونفي الشكِّ عنه والحال مؤكّدة لأنها لم تأتِ بمعنى جديدٍ ؛ فتحليق وخَفْق الرايات من الأمور الاعتيادية التي تُشاهد في الجيوش الكبيرة ، إنما أكَّدت الحال مضمون الجملة بتحديد المظهر الذي يتم التركيز عليه ، ومجيء " الخميس " معرفة يُوجب نصب " خوافقا راياته " على الحالية ، وليس رفعها ؛ لأنَّ الرفع يجعلها نعتا ولا سبيل إلى ذلك ؛ لأن " الخميس " معرفة و " خوافق " نكرة ، ولابد من مطابقة النعت للمنعوت في التعريف والتنكير ، ولقد أوضح المبرد كيفية توجيه النصب أو الرفع في مثل هذه الحالة يقول : وذلك قولك : مررت بامرأةٍ معها رجلٌ قائمةٍ يا فتى ، إذا حملت ذلك على مررت بامرأة ، وإن حملته على الهاء في معها قلت : رجلٌ قائمةٌ ، والمعنى إذا نصبت : أنك مررت به معها في حال قيامها فكانت المقارنة في هذه الحال .

ومن ذلك هذه دابةٌ تشتدُّ مكسورا سَرْجُها : إن حملته على الضمير في تشتد .

وإن حملته على دابة رفعت فيكون نعتا كأنك قلت : هذه دابة مكسورٌ سرجُها ، وفي الباب الآخر أنها تشتدّ في هذه الحال . "[٢] تجر ّكلمة " قائمة "

---

[١] إيليا : الأعمال الكاملة ، معركة بورغاس ، ص : ٣٤٤(الكامل) .

[٢] المبرد : المقتضب ٣/ ٢٦١ .

إن جعلت نعتا لـــــــ " امرأة " إذ يتطابقان في التنكير ، وتنصب " قائمة " إن جعلت حالا وصاحبها المعرفة هو الضمير في معها ، كما تنصب " مكسورا " إنْ جعلتها حالا وصاحبها المعرفة هو الضمير المستتر في " تشتدّ " وكذلك ترفع " مكسورٌ " إن جعلت نعتا لـــ " دابة " .

ولذلك فإن " خوافقا " واجبة النصب على الحالية .

وهذا الموضع من المواضع التي لا تدخل في الضرورات يقول السيرافي : " وليس في شيء من ذلك رفع منصوب ولا نصب مخفوض ولا لفظ يكون المتكلم به لاحنا ومتى وجد هذا في شعر كان ساقطا ولم يدخل في ضرورة الشعر . "[1]

المسألة الثانية : كسر همزة " إنَّ " حيث يجب فتحها :

ما لنا يأخذُ منَّا الطَّربُ
كلَّما عامٌ تلاشى واضْمَحلْ
أفـــرِحْنَا أننا نقتربُ
من غدٍ؟ إنَّ غدا فيه الأجلْ
عجبٌ هذا ومنه أعجَبُ
إنَّنا نـَفْنى ولا يـَفنى الأملْ [2]

لقد مَـــيَّز النحاة بين " أنَّ " المفتوحة الهمزة و" إنَّ " المكسورة يقول الفارسي في الإيضاح : " وعَمَل "أنَّ " المفتوحة كعَمَل " إنَّ " المكسورة ومعناهما مختلف لأن المفتوحة مع ما بعدها في تأويل اسم تقول : " بلغني أنَّك مُنطلق " فيكون المعنى : " بلغني انطلاقك " فموضع " أنَّ " وما بعدها من الاسم والخبر رفع بالفعل و " عجبت من أنَّك مُنطلق " فيكون في موضع جرّ و" علمت أنَّك منطلق " فيكون في موضع نصب "[3] فالمفتوحة الهمزة هي التي في موضع تتقدَّر فيه بالمصدر " و الذي يدلك على أنَّ " أنَّ " المفتوحة في معنى المصدر ، وأنها تقع موقع المفردات ، أنها تفتقر في انعقادها جملة إلى شيء يكون معها ويُضَمُّ إليها . "[4]

---

[1] السيرافي : ما يحتمل الشعر من الضرورة ، ص ٣٤ .
[2] إيليا : الأعمال الكاملة ، قصيدة ١٩١٤م : ص ٣٦٣(الرمل) .
[3] الفارسي ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار : كتاب الإيضاح ، ص ١٢٧ ، تحقيق ودراسة : د/ كاظم بحر المرجان ، عالم الكتب ط ٢ ١٩٩٦م / ١٤١٦ه ، بيروت ، لبنان .
[4] ابن يعيش : شرح المفصل ٨/ ٥٩ .

وعندما نسمع قول إيليا " وأعجب منه " نتساءل : أيُّ شيءٍ أعْجَبُ مِنْ فرحنا باقتراب الأجل ؟ الكلام يحتاج مبتدأ ؛ فالحرف الناسخ مع معموليه يُقدَّر هنا بمصدر في محل رفع مبتدأ والتقدير :

فناؤنا أعجب منه أي : فناؤنا أعجبُ مِن فرحِنا باقتراب الأجل ، فالموضعُ موضعُ فتحٍ لهمزة " إنَّ " وليس كسرها .

المسألة الثالثة : رفع الفعل الذي حقُّه الجزم في جواب الطلب :

يُجْزَم الفعل المضارع في جواب الطلب بشرط أنْ يُقْصَدَ به معنى الجواب للطلب المُـــتَقدِّم عليه " وتلك الأفعال جواب ما كان أمرا أو نهيا أو استخبارا ، وذلك قولك " ائت زيدا يكرمك" ، و "لا تأت زيدا يكن خيرا لك" ، و "أين بيتك أزرك ؟ " وإنما انجزمت بمعنى الجزاء ؛لأنك إذا قلت : " ائتني أكرمك " فإنما المعنى ائتني فإن تأتني أكرمك لأن الإكرام إنما يجب بالإتيان . "[1] وقد جزم الفعل في قول إيليا " قم نلعبْ " في البيت الأول " قم " فعل أمر أي طلب محض جاء جوابه مجزوما وهو " نلعب " وكان يجب الجزم في الأفعال التي عطفت عليها فيقال : نذد وليس نذود ، نصنعْ وليس نصنعُ وتكرر الأمر في : نجول – نركض – نصور كما سيتضح فيما تحته خط :

ما بالكَ مُنكمِشا كَمِدا ؟	قم نلعب في فيء الشَّجَرِ
ونهزّ الأغصُن والعُمُدا	ونذود الطير عن الثَّمرِ
أو نصنعُ خيلا من قَصَبِ	أو طيَّارات من وَرقِ
ومُدىً وسيوفا من خشبِ	ونجولُ ونركضُ في الطُّرق
أو نأتي بالفحم القاتمْ	ونصوِّرُ فوق الأبوابِ
تنـِّيناً في بحرٍ عائمْ	أو ليثاً يخطرُ في غاب
أو كلبا يعدو أو حَمَـلا	يرعى أو نهراً أو هضبَهْ
أو ديكا ينفُدُ أو رجُلا	يمشي أو مُهرا أو عَرَبَهْ
أو نجبُل ماءً وترابا	ونَشيدُ بيوتاً وقـِبابا
أو نجعلُ منه أنصابا	أو نصنعُ حلوىً وكَبابا[2]

والمعنى على الجزم : أنه يلزم القيام ونفض الانكماش والكمد لحدوث كل ما يأتي بعد ذلك من لعبٍ وهزٍّ للأغصان وذوْدٍ للطير عن الثمر وصناعةٍ للطيارات ورسمٍ وتشييدٍ ، فكل هذه الأمور تتحقَّق بتحقُّق القيام ونفض الانكماش ، وتنعدم بانعدامه ، وهذا أفضل من توجيه الرفع الذي يجعلها أحداث انفصم كلٌّ

---

[1] المبرد : المقتضب ، ٢/ ٨٢ .

[2] إيليا : الأعمال الكاملة ، الأشباح الثلاثة : ص ٦٢٣، ٦٢٤(المتدارك) .

منها عن الآخر ،كلُّ حَدَث بداية ليس له ارتباط بما قبله ، والمعنى في هذا الموضع على الجزم أجود من الرفع .

والفعل قد لا يُجْزَم ، فيُخَرَّج إمَّا على الابتداء أو على الحالية يقول سيبويه : " وتقول : " ذَرْه يقلْ ذاك" و"ذَرْه يقولُ ذاك " – فالرفع من وجهين : فأحدهما الابتداء ، والآخر على قولك : ذره قائلا ذاك فتجعل يقولُ في موضع قائل .

فمثل الجزم قوله عزَّ وجلّ (**ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ**)[1] ومثل الرفع قوله تعالى جدّه (**ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**)[2] " [3] لأن المعنى ذرهم لاعبين .

ويمكن أنْ نُفَسِّر الرفع في الفعل " يذود" على الابتداء ، وأن الواو قبلها استئنافية ، ثمَّ عطف على هذا الفعل بالرفع في الأفعال التي تتابعت بعد ذلك ، ولكن مع وجود الفارق في المعنى الذي أشرت إليه ، وعلى الابتداء يمكن تفسير الأفعال التي ظهرت في قصيدة " تعالي من نحو قول إيليا :

تعاليّ نتعاطاها كَلوْنِ التِّبر أو أسْطَعْ
ونسقي النِّرجسَ الواشي بقايا الراح في الكاس
فلا يعرفُ من نحنِ ولا يُبْصِرُ ما نَصنعْ
ولا ينقلُ عند الصُّبح نجوانا إلى الناس
تعاليْ نسرقُ اللذاتِ ما ساعفنا الدهرُ
تعالي نطلقُ الروحين من سجنِ التقاليدِ [4]

" تعالي " كلمة محورية ، يتناسب مع أهميتها أن نجعل المعنى على الجزم ؛ لأن ذلك يجعل مجيئها شرطا وسببا لحدوث كل ما يأتي بعد ذلك من أفعال فـ" سقي النرجس " و" إطلاق الأرواح " مُتعلّق بمجيئها ومُسبَّب عنه .

فوجود تخريج لعدم الجزم لا يعني تساوي الاستعمالين إذ ينصُّ النُّحاة على أن الجزم أجود يقول المبرد : " وتقول مُرْه يحفرُها ومرْه يحفرْها فالرفع على ثلاثة أوجه والجزم على وجه واحد وهو أجود من الرفع لأنه على الجواب كأنه إنْ أمرته حفرها "[5] يتوقَّف الحفر على الأمر ؛ فالدلالة التي تنتج عن الجزم

---

[1] الحجر : ٣ .
[2] الأنعام : ٩١.
[3] سيبويه : الكتاب ٣/ ٩٨.
[4] إيليا: الأعمال الكاملة ، تعالي : ص ٥٧٢ (الهزج) .
[5] المبرد : المقتضب ٢ / ٨٤ .

تختلف عن الدلالة التي تنتج في حالة الرفع يقول سيبويه : " وتقول قم يدعوك لأنك لم ترد أن تجعل دعاء بعد قيامه ويكون القيام سببا له ولكنك أردت : قم إنه يدعوك ... ولو قلت مره يحفرها على الابتداء كان جيدا وقد جاء رفعه على شيء هو قليل في الكلام على : مره أن يحفرها فإذا لم يذكروا " أن " جعلوا المعنى بمنزلته في عسينا نفعل وهو في الكلام قليل لا يكادون يتكلمون به "[1] في الرفع الدعاء ليس متوقّفا على القيام ، والحفر ليس متوقفا على الأمر ، ففي كلام سيبويه تأكيد عدم تساوي الاستعمالين ووجود فارق في الدلالة ، وهذا الفارق من أسباب الاعتذار عن الضرورة حين ينحصر سبب اقترافها في إقامة الوزن على حساب المعنى .

المسألة الرابعة : استخدام " إنْ " الشرطية مكان " أن " المصدرية :

اثنان أعيا الدهرَ إنْ يُبليهما لبنانُ والأملُ الذي لذويه [2]

الصواب : أعيا أنْ يُبليهما الدهر ، التقدير : أعيا إبلاؤهما الدهر لكي يصبح المصدر المؤول فاعل .

ولكن هل يضعف هذا التقدير القول بأنَّ " أنْ والمضارع " تفيد المستقبل والزمن غير مُعيَّن بالاستقبال في هذا السياق ؟

لقد فرَّق النحاة بين المصدر الصريح والمصدر المؤول من أنْ والفعل المضارع من حيث الدلالة على الزمن يقول المبرد : " والفصل بين المصدر نحو : الضرب والقتل وبين (أنْ يضرب " و (أنْ يقتل) في المعنى أن الضرب اسم للفعل يقع على أحواله الثلاثة : الماضي ، والموجود ، والمنتظر . قولك " أن تفعل" لا يكون إلا لما يأتي . فإن قلت : أنْ فعلت ، فلا يكون إلا للماضي ولا يقع للحال البتة . " [3]

فالتعبير بالمصدر الصريح يحتمل الأزمنة الثلاثة أما المصدر المؤول من "أن " والفعل المضارع يفيد الاستقبال ، غير أن ما جاء في بيت إيليا هو من باب إيراد السبب يقول المبرد في تفسيره لقوله تعالى (وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى**)[4] " أنه إنما أعدَّ الإشهاد للتذكير ولكن تقدمت " أنْ تضلَ " لتوقع سبب التذكرة ونظيره من الكلام : أعددت هذا أنْ يميل

---

[1] سيبويه : الكتاب ٣/ ٩٨، ٩٩ .
[2] إيليا : الأعمال الكاملة ، لبنان : ص ٧٧١ (الكامل) .
[3] المبرد : المقتضب ٣/ ٢١٤ .
[4] البقرة / ٢٨٢.

الحائط فأدعمه ولم يعدده طلبا لأن يميل الحائط ولكنه أخبر بعلة الدعم ، فاستقصاء المعنى إنما هو : أعددت هذا لأن إنْ مال الحائط دعمته . "[1] وفي بيت إيليا إعياء الدهر سببه محاولة إبلاء لبنان والأمل المغروس في أبنائه ؛فالمعنى : تعب الدهر لمحاولته إبلاء لبنان والأمل ، والاحتياج لفاعل هو ما يجعل كسر همزة " إنْ " مُستبعَد ولو ورد البيت برفع الدهر لصحّ كسر همزة إنْ ويكون المعنى : أعيا الدهر وتعب متى حاول إبلاؤهما كما في تفسير النحاة لقراءة (إنْ وهبت نفسها للنبي) " فمعناه : متى كان ذا ؛ أنها إنْ التي للجزاء "[2]

المسألة الخامسة : مجيء جواب الشرط جملة اسمية غير مقترنة بالفاء

إنْ كنتَ مُكْتَئِبا لِعزٍّ قد مضى هيهاتَ يُرجعُهُ إليكَ تندُّم
أو كنتَ تُشْفِقُ من حلول مُصيبةٍ هيهاتَ يمنعُ أنْ تَحُلَّ تجهُّم
أو كنت جاوزتَ الشبابَ فلا تقلْ شاخَ الزمانُ فإنَّه لا يهْرَم[3]

٢- زعموا سَلوتُكَ ... ليتهُمْ نَسبُوا إليّ المـُمْكِنا
فالمرءُ قد ينسى المـُسيءَ المـُقْترِي والمحسِنا
والخمرَ والحسناءَ والوترَ المرنَّحَ والغِنَا
ومرارةَ الفقرِ المـُذِلِّ بلى ، ولذات الغِنى
لكنَّه مهما سلا هيهاتَ يسلو الموطِنا[4]

جاءت " هيهات " وهي جواب شرط لـــــــ " إنْ" في الأبيات الأولى ، ولاسم الشرط " مهما " في الثانية غير مقترنة بالفاء ، و" هيهات " اسم فعل يقع في الأسماء إذا صُنِّفَ وَفْقا لأقسام الكلام الثلاثة يقول المرادي : " مذهب جمهور البصريين أنها أسماء ، وقال بعض البصريين أفعال استعملت استعمال الأسماء ، وذهب الكوفيون إلى أنها أفعال حقيقية ، والصحيح أنها أسماء لقبولها بعض علامات كالتنوين والتصريف ، ولعدم قبولها علامات الأفعال ولورودها على أوزان تخالف أوزان الأفعال "[5] والفاعل مع اسم الفعل يكون ضميرا مستترا أو اسما ظاهرا ، وعندما يكون الفاعل ضميرا مستترا فإن اسم الفعل يعد جملةً يقول الفارسي : " فإذا ثبت احتمال هذه الأسماء المسمى بها الفعل الضمير كما احتملته أمثلة الأمر ثبت أنها جُمَل "[6]

---

[1] المبرد : المقتضب ٣ / ٢١٥ .
[2] المبرد : المقتضب ٣ / ٢١٤ .
[3] إيليا : الأعمال الكاملة ، كم تشتكي : ص ٨١٤ (الكامل) .
[4] إيليا : السابق ، وطن النجوم : ص ٨٥٠ (مجزوء الكامل) .
[5] المرادي : توضيح المقاصد ٤/ ١١٥٩ .
[6] أبو علي الفارسي : المسائل الحلبيات ص ١٠٠ .

وقد جعل ابن هشام الجملة المبدوءة باسم فعل جملة اسمية يقول : "فالاسمية هي : التي صدرها اسم كزيد قائم وهيهات العقيق وقائم الزيدان عند من جوزه وهو الأخفش والكوفيون "[1]

وعلى هذا فإن سبب وجوب اقتران جواب الشرط بالفاء هنا أنه جملة اسمية ، وقد أشار سيبويه إلى أن جواب الشرط قد يتجرد وهو جملة اسمية أو فعلا جامدا أو فعلا مسبوقا بقد أو السين أو سوف من الفاء للضرورة يقول : " وسألته عن قوله : إنْ تأتني أنا كريمٌ فقال : لا يكون هذا إلا أن يضطرَّ شاعرٌ من قِبَل أن " أنا كريم " يكون كلاما مبتدأ والفاء وإذا لا يكونان إلا مُعَلقتين بما قبلهما فكرهوا أن يكون هذا جوابا حيث لم يشبه الفاء وقد قاله الشاعر مضطرا يشبهه بما يُتكلَّم به من الفعل قال حسَّان بن ثابت :

من يفعل الحسناتِ الله يشكُرُها ... والشرُّ بالشرِّ عند الله مثلان

وقال الأسدي :

بني ثُعَل لا تَنْكَعوا العَنْز شِرْبهَا ... بني ثُعَلٍ مَنْ يَنكَعِ العَنْزَ ظالمُ "[2]

المسألة السادسة : صرف الممنوع من الصرف كما في :

بأبي وأمي في العَراءِ موسَّدٌ ... بَعثَ الحياةَ مطامعاً ورغابا[3]

أيُّها الليلُ ! أنت أبهى من الفَجر ... وإن كنت أسْودَ الطَّيْلسَان

بالوجوهِ الزهراءِ بالأنفسِ السَّمْحاء ... من يَعْرُبٍ ومن غسَّان[4]

فكأنما الأزهارُ سِرْبَ كواعبٍ ... وكأنما هو شاعرٌ يتغزَّل[5]

إيليا شأنه شأن الشعراء منذ القدم إذا اضطر يجوز له " صرف ما لا ينصرف وهو جائز في كل الأسماء مطرد فيها لأن الأسماء أصلها الصرف ودخول التنوين عليها وإنما تمتنع من الصرف لعلل تدخلها فإذا اضطر الشاعر ردَّها إلى أصلها "[6] وصرف الممنوع من الصرف من الضرائر التي بزيادة حرف وهو التنوين ، وقد صرف إيليا " مطامعا " حين نوَّنها ، وهي في الأصل ممنوعة من الصرف لأنها على وزن فواعل أي من صيغ منتهى الجموع ، وكذلك صرف كواعب فجرها بالكسرة ونونها ، كما صرف " يعرب "حين

---

[1] ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف بن أحمد : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ٢/ ٣٧٦ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٠٧ه / ١٩٨٧م .

[2] سيبويه : الكتاب ٣ / ٦٤ ، ٦٥ وقول حسان في المبرد : المقتضب : ٢ / ٧٢ ..

[3] إيليا : الأعمال الكاملة ، تحية الشام : ص ٨٥٢ (الكامل).

[4] إيليا : الأعمال الكاملة ، امتنان : ص ٨٧٧ (الخفيف).

[5] إيليا : السابق ، عصر الشبيبة : ص ٩٠١ (الكامل).

[6] السيرافي : ما يحتمل الشعر من الضرورة ص ٤٠، ٤١ .

جرها بالكسرة ونونها وكان القياس أن تجر بالفتحة لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية ووزن الفعل .

خامسا : المسائل الدلالية :

١- استخدام جمع القلة في مواضع لجمع الكثرة فيها وجه ظاهر .

٢- استخدام مفردة التاجر في غير موضعها المناسب .

٣- فقد الشروط الضرورية لقيمة صدق الجملة أو انتهاك مباديء جرايس .

المسألة الأولى : استخدام جمع القلة في مواضع لجمع الكثرة فيها وجه ظاهر:

قرَّر الصرفيون أن " مدلول جمع القلة بطريق الحقيقة ثلاثة إلى عشرة "[١] وكشفوا عن أربعة أوزان لجموع القلّة وهي " أفْعُل " و " أفعال " و " أفْعِلة " و "فِعْلة " ، وعيَّن الصرفيون الأسماء المستحقة لكلّ وزن كما في المقتضب وغيره[٢] وعلَّلوا لتحديد هذه الأوزان الأربعة " بغلبة استعمالها في تمييز الثلاثة إلى العشرة واختيارها فيه على سائر الجموع إنْ وُجِدَت . "[٣] وفي استخدام جموع القلة تظهر دلالات القلّة والندرة والتواضع والتحقير [٤] لكنّ الصيغة الصرفية وحدها غير كافية لإنتاج دلالة القلّة وما يتفرّع عنها داخل النصوص فالصور التي تظهر فيها الكلمات على أوزان " أفْعُل- أفعال - أفْعِلة – فِعْلة " دالة على القلة والندرة ... إلخ تستند إلى قرائن نحوية وسياقية تمنع خروج هذه الصيغ إلى معنى آخر خلاف القلة وقد نبَّه النحاة إلى أنَّه " إذا قرن جمع القلة بأل التي للاستغراق أو أضيف إلى ما يدل على الكثرة انصرف بذلك إلى الكثرة "[٥]

ويُؤخَذ على الشعراء استخدام جمع القلة في مواضع كان يُحَبَّذ فيها استخدام جمع الكثرة دون الاستعانة بالوسائل التي تصرفه لمعنى الكثرة مثل اقتران الكلمة بأل الجنسية التي تفيد استغراق الجنس إو إضافة جمع القلة إلى ما يدل على الكثرة أو عطفه على جمع كثرة أو أن يسبقه بكلمة تدل على العموم .

ومن المواضع التي يؤخذ فيها على إيليا أبي ماضي استخدامه لجموع القلة ما يأتي :

---

[١] الصبان : الحاشية ، ٤/ ٨٨ .

[٢] المبرد : المقتضب ، ١/ ١٣١، ١٣٢ ، ١٥٦ ، ٢ / ١٩٥- ٢١٥.

[٣] الإستراباذي : شرح الرضي على الكافية ٤/ ٣٧٠ .

[٤] انظر : جموع القلة في شعر البارودي وشوقي دراسة نحوية دلالية : د/ هدى فتحي عبد العاطي ، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية – كلية الآداب – جامعة كفر الشيخ ، العدد الأول ، ٢٠٠٩م .

[٥] الصبان : حاشية الصبان ٤ / ٨٨، ٨٩ .

أبكي عليك بأدمع هطالة ولقد يقل لك النجيع الأحمر[١]

جمع الشاعر بين " أدمع " وهو جمع قلة على وزن " أفعل " و صيغة المبالغة " هطالة " التي تفيد أن الدموع تنهلُّ مُرْسَلةً وتسكب سكبا ، وكان الأوْلى أن يجعل الأدمع جمع كثرة ليتناسب مع صيغة المبالغة ومع تتمة البيت ، ولكانَ أدلّ على فداحة الخطب وأظهر للإخلاص وشدة الحزن .

وهذا يختلف عن استخدامه لجمع القلة " أدمع " في موضع آخر حيث يقول :

١-عصر الأسى روحي فسالت أدمعا فلمحتها ولمستها في أدمعي[٢]

فإن استخدام جمع القلة في هذا البيت يعبِّر عن الوهن الشديد الذي أصابه حين عذَّبه الأسى فانعصرت روحه عن أدمع قليلة هي كل ما تبقى منه ، وقد سالت مسرعةً للدلالة على التناهي في الضعف الذي يودي إلى العفاء والانمحاء.

إن للتعبير بجمع القلة في مثل تلك المواضع مزايا ولإنتاج معنى القلة جانب صرفي يتمثل في الصيغة وجانب سياقي يتصل بالحديث عن الأسى الذي أدى إلى الضعف .

٢- يطأطئ إجلالا لشخصك أرؤسا يطأطئ إجلالها كل مفرق[٣]

" أرؤس " جمع قلة على وزن " أفعل " يتحدث الشاعر عن الجيش وقد جعل رجاله قليلين حيث تستحب الكثرة للدلالة على المنعة والعظمة وغيرها وقد استخدم الشاعر جمع الكثرة " رؤوس " استخداما دقيقا في مواضع منها :

وما عادة خفض الرجال رؤوسها ولكنما في الأرض كنز الجواهر[٤]

لا عجب في أن تحني حشود الرجال رؤوسها تشيِّع من ملأ النفوس إعظاما و إكبارا بنظرة أخيرة إلى قبره يتناسب جمع الكثرة رؤوس والسياق .

---

[١] إيليا : الأعمال الكاملة ، الخطب الفادح : ص ١٧٥ (الكامل)
[٢] إيليا : السابق ، العنقاء : ص ٥٦٠ .
[٣] إيليا : الأعمال الكاملة ، عبد الحميد بعد إعلان الدستور : ص ٢٠١ (الطويل) .
[٤] إيليا : السابق ، جرجي زيدان : ص ٥٣٦ .

وكذلك في حديثه عن الفقراء :

كلوا واشربوا أيها الأغنياء وإن ملأ السكك الجائعون
وتلك العصي لتلك الرؤوس وتلك الحراب لتلك البطون[١]

لم تكن أعداد الفقراء ضئيلة ؛ فقد ملأ الجياع الطرقات ؛ فعبَّر عنهم بجمع الكثرة " رؤوس " .

٣- أتذل آناف الملوك جدودكم وتسومكم خسفا رعاة الماشية[٢]

" آناف " جمع قلة على وزن أفعال يفخر الشاعر بالأجداد الذين أخضعوا الملوك وسياق الفخر يناسبه استخدام جمع الكثرة " أنوف " وليس القلة الذي استخدمه إيليا هنا .

٤- في قلبه نار الخليل وإنما في وجنتيه أدمع الخنساء[٣]

جعل للخنساء أدمعا وهي المقدَّمة على الشعراء جميعهم في الرثاء بدموعها التي سكبتها سكبا على أخيها فلم تجمد ، ولم تنقطع ، وضرب المثل بذلك فكيف ينسب لها ما يدل على القلة في الدموع .

٥- كذاك الهوى فعله في النفوس كفعل المدامة في الأرؤس[٤]

" الأرؤس " جمع قلة ولو جاء بجمع الكثرة " الرؤوس " بدلا من الأرؤس لتناسب ذلك مع جمع الكثرة الموجود في الشطر الأول وهو " النفوس " .

٦- وقال خليلي : الهناء القصور وكيف وقد ملئت أذؤبا[٥]

أذؤبا : جمع قلة على وزن أفعل وجمع بين امتلاء القصور في قوله " وقد ملئت " وبين استخدام جمع القلة وهذا لا يستقيم .

٧- وإذا تنقطه السماء عشية بالأنجم الزهراء تسترضيه[٦]

جاء بجمع القلة " أنجم " وهذا لا يتناسب مع ما يتحدث عنه من استرضاء للوطن فكثرة النجوم أجدى للاسترضاء ، وكأن الشاعر يؤثر اختيار ألفاظ ذات تشكيل صوتي معين أو صدى في نفسه على جانب المعنى وقد ظهرت هذه الصيغة معبرة عن معان دقيقة في غير موضع من شعر إيليا كما في قوله :

---

[١] إيليا : السابق ، كلوا واشربوا : ص ٧٥٧ (المتقارب) .
[٢] إيليا : السابق ، عصر الرشيد : ص ٢٩٠ (الكامل) .
[٣] إيليا : الأعمال الكاملة ، الفقير : ص ٣٠٢ .
[٤] إيليا : السابق ، بلاء أم نعمة : ص ٣١٥(المتقارب) .
[٥] إيليا: السابق ، ١٩٣١ ص ٣٢١ ، (المتقارب) .
[٦] إيليا : السابق ، لبنان : ص ٧٧١(الكامل) .

فإذا أنا كالسنديانة شوشت أغصانها الريح التي تلويها
أو كالسفينة في الضباب طريقها ضلت وغابت أنجم تهديها[١]

فاستخدامه لجمع القلة " أنجم " استخدام دقيق لأنه يدل على انعدام الضوء المرشد ولو كان خافتا وضعيفا تصدره " أنجم " معدودة فالمعنى قد تشكل من الصيغة الصرفية والسياق .

المسألة الثانية : استخدام مفردة التاجر في غير موضعها المناسب :

قل لمن راموا مساجلتي ليس غيري تاجر الكلم[٢]

سجلت المعاجم أن التاجر هو " الذي يبيع ويشتري "[٣] هذا هو القدر من الدلالة الذي لا يتقيد بسياقات أو مناسبات بعينها ، كما يتصف بالاستقرار عبر الزمن ، وقد اقترح لوينز هذين المعيارين حين وسم المعنى الأساسي بأنه " ثابت ومستقل إذ إنه جزء من معنى التعبير في نظام اللغة يستقل عن استخدامه في المناسبات الخاصة للنطوق **particular occasions of utterance** ."[٤]

فالمعنى الأساسي هو العناصر أو المكونات الدلالية الشائعة أو الثابتة التي تتبادر إلى الذهن عند سماع الكلمة المنزوعة من سياقها ، ولا يرتبط المعنى الأساسي هنا بما يحيط بالكلمة من معنى عندما تقترن بمفردة أخرى مثل سياسة – دين – مباديء – كلم – عملة على حين يرتبط ذلك بالمعنى الثانوي وقد لفت ويليام فرولى[٥] إلى أنَّ المعنى الثانوى **connotation** يختص بالمكوِّنات الوجدانية التي قد تكون إيجابية أو سلبية ومن تلك المعاني المرتبطة بكلمة " تاجر " معان إيجابية نحو : القدرة على الانتقاء – التمييز بين الغث والسمين – معرفة أقدار ما بين أيديهم – اغتنام الفرص – تنوع أساليب الإقناع .

معان سلبية نحو : إعلاء المصلحة الشخصية – كثرة الحلف – التدليس – الكذب وقد ورد في الحديث النبوي : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن التجار هم الفجار قال قيل يا رسول الله أو ليس قد أحل الله البيع ؟ قال بلى ولكنهم يحدثون فيكذبون ويحلفون ويأثمون . "[٦] وقد ذكر ابن الأثير أن

---

[١] إيليا : السابق ، الكمنجة المحطمة : ص ٥٩٧ (الكامل) .
[٢] إيليا : الأعمال الكاملة ، فتنة ١٣ أبريل ص ٢١٢ (المديد) .
[٣] الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ، تجر ، دار الجيل ، بيروت .
[4] Lyons, John: linguistic semantics an introduction, p: 79, Cambridge university press, 1996.
[5] Frawley William. J: International Encyclopedia of linguistics, P: 9, Oxford University press, 2003.
[٦] أحمد بن حنبل : مسند أحمد ، حديث رقم ١٥٢٩٩ .

تسميتهم " فجارا لما في البيع والشراء من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس والربا الذي لا يتحاشاه أكثرهم أو لا يفطنون له . "[1]

إن عددا من الملامح الدلالية السلبية السابقة يلابس كلمة " تاجر " عند اقترانها في استخدامنا الحالي بمفردة دين أو سياسة وقد يخالط الكلمة أيضا عند اتصالها بمفردة الكلم أو الكلام في قولنا تاجر الكلم أو تاجر الكلام .

كلمة " تاجر " في التعبيرات السابقة تشير إلى فرد يستخدم قدرته على الإقناع في خداع من أمامه لا يرعى فيهم ذمة وصولا لتحقيق منفعة فردية ، إن السمات التي تغلب على من يلقبون بلقب من الألقاب السابقة وضع من قدر كلمة " تاجر " في تلك التعبيرات ؛ فأصابها بالتدني الدلالي ، وجعلها تقترن بفئات لا علاقة في الأصل بينها وبين لقب التاجر المستخدم لمن يقوم بعملية البيع والشراء ، ويصير استخدام إيليا لتعبير " تاجر الكلم " من جملة ما يؤخذ على الشاعر إذ يوحي بأن ما ينظمه قد صدر عن غير صدق فلا يصلح لسياق الفخر والتباهي ولو رأى بعض منافسيه أنْ يهجوه لما عثر على أفضل من لقب " تاجر الكلم " .

المسألة الثالثة : فقد الشروط الضرورية لقيمة صدق الجملة أو انتهاك مباديء جرايس :

لقد تحدَّث د/ طه حسين عن الجمل اللاحنة دلاليا[2] التي تظهر في شعر إيليا على قِلَّة يقول د/ طه عن إيليا " فهو مُصَحِّح للمعاني كما قلنا لا يحيل أو لا يكاد يحيل ولا يتورط أو لا يكاد يتورط في هذه المعاني الفاسدة التي تلتوي على العقل وإن كنا قد نجد من ذلك شيئا في الديوان بل في الفاتحة نفسها قوله :

كلما أفرغت كأسي زدت في كأسي دنا[3]

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، تجر .

[2] وُصِفت الجمل باللاحنة وليس المُلتَبسة لأن " العبارة الملتبسة كل عبارة محتملة لأكثر من تأويل واحد . " انظر : د/ أحمد المتوكل قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، ص ١٣٠ ، وذلك مثل : رأيت عيني هند التباس الجملة ناتج عن ورود المكوِّن "عيني " محتملا لمعنيين إما على عضوي البصر و إما على رسولين ، ولا تتصل الجمل التي تحدث عنها د / طه حسين بذلك الأمر ، أما جملة " زدت " في كأسي دنا " التي يمثِّل بها د / طه حسين لفساد المعنى فهي لاحنة دلاليا تشبه جملة " شرب الطفل خبزا " لأنها جملة بها خرق لقيود الانتقاء ناتج عن ملء محل المفعول به بكلمة " دنا " التي لا تتناسب مع ما تعارف عليه العالم الخارجي عن الطاقة الاستيعابية للكأس ، ولقد تحدث د/ أحمد المتوكل عن جملة " شرب الطفل خبزا " وعن الجمل المشابهة في حديثه عن قيود الانتقاء ودورها في منع توليد تراكيب لاحنة ودورها من جهة أخرى في التأشير إلى أن العبارة مخروج بها إلى معنى مجازي حين تخرق هذه القيود .

[3] إيليا : الأعمال الكاملة ، الفاتحة ص ٥٥٥ (مجزوء الرمل) .

معنى فاسد لا يستقيم ، ذلك أنه يريد أن يقول إن خمره لا تنقص بالشرب أو بالاستهلاك كما يقول أصحاب الاقتصاد إنما تزداد وتربو فانظر إلى هذه الصورة المستحيلة التي صور فيها هذا المعنى المستقيم :

كلما أفرغت كأسي زدت في كأسي دنا

فالكأس جزء ضئيل من الدن أو قل إن الكأس تحتوي جزءا ضئيلا مما يحتويه الدن فكيف يمكن أن يزداد الدن في الكأس ؟ !

وللشاعر مثل هذا الخطأ في تأدية المعاني الصحيحة في نفسها فانظر إلى هذا البيت :

ثم انتبهت فلم أجد في مخدعي إلا ضلالي والفراش ومخدعي[1]

يريد أن يقول : إنه انتبه فلم يجد إلا مخدعه وفراشه وضلاله ولكن وزن البيت لم يستقم له فأضاف إليه كلمة أقامته ولكنها أفسدته إفسادا وهي قوله في " مخدعي "[2]

اعتمد د/ طه حسين في حديثه عن المعاني الفاسدة على ما أشار إليه سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة يقول سيبويه : " فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب .

وأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس وسآتيك غدا .

وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غدا وسأتيك أمس . "[3] واستخدام الفعل " أتيتك " الذي يدل على وقوع هذا الفعل في الزمن الماضي لا يتوافق مع استخدام ظرف زمان يفيد المستقبل على الرغم من صحة التركيب فإنه محال أي غير منطقي .

ويناقش علم الدلالة حديثا هذا الأمر في موضوع شروط قيمة الصدق الضرورية ذلك أن " الدلالة المتعينة لجملة إنما توصف كمجموعة من الشروط الضرورية والكافية لقيمة صدق الجملة وعلى هذا في حال مثالنا لكي يصدق على شخص ما بكونه أعزب يجب أن يصدق بأنه لم يتزوج (وعدم حصول زواجه شرط ضروري لعزوبيته) وإذا كان الأمر على هذا الحال ترتب عنه على وجه آلي أنه إذا صدق على شخص ما بأنه أعزب صح عنه واستقام فيه أيضا أنه لم

---

[1] إيليا : الأعمال الكاملة ، العنقاء ص ٥٥٩.
[2] د / طه حسين : حديث الأربعاء ٣/ ١٩٧ .
[3] سيبويه : الكتاب ١ / ٢٥، ٢٦ .

يتزوج قط وقس على ذلك بالنسبة لكل جملة : إذ كل شرط لقيمة الصدق من جملة ما ينبغي أن يكون في آن معا وبالتعريف نتيجة لتلك الجملة . "[1]

وهذا يعني أننا عندما نقول :

زدت في الكتاب فصلا .

نستطيع وصف ما يقابل هذه الجملة من قيم الصدق الضرورية من نحو :

إذا كانت كل الكتب تتكون من فصول ، إذن الفصل جزء من الكتاب .

هل نستطيع فعل الأمر نفسه مع جملة إيليا : زدت في كأسي دنا ؟ يستلزم هذا أن يتكون الكأس من عدة أدنان .

فهل نستطيع أن نقول قياسا على المثال الأول : سعة الدن أقل من سعة الكأس ؟

إننا لا نستطيع تقديم وصف لما يقابل جملة إيليا من قيم الصدق لأن الدن يملأ كثير من الكؤوس فهو أكبر من الكأس لا يمكن أن تفرغ كل محتوى الدن داخل كأس واحدة .

ولكن هل يمكن أن تساعد مباديء جرايس **Grice** في النظر إلى أقوال إيليا بشكل مختلف ومن تلك المباديء " قاعدة الكيف :

١- لا تقل ما تعتقده خطأ .

٢- لا تقل ما تعوزك فيه البينة المطابقة .

وكل قاعدة من هذه القواعد أو أصل من الأصول تشكل اتفاقا وتواضعا يتعين في العادة الإذعان إليه والامتثال له وعادة ما يتوقع مثلا عند تبادل التحاور أن من يتحدث إليهم يقولون الحقيقة . "[2]

وفي بعض الأحيان يلجأ المتلقي إلى تأويل معنى الجملة على نحو يفسر مخالفتها لقاعد الكيف بأن الشاعر يحاول إيصال رسائل تتجاوز المعنى الحرفي للجملة ففي تفسير راث لجملة " أنت زبدة قهوتي " يقول : " ولما كان لفظ الزبد لا يلازم لون القهوة ملازمة طبيعية فحسب ، بل هو أحد الخواص الجوهرية فيها ، فربما كان المتكلم قاصدا بقوله هذا أن المستمع يملك صفات مشابهة وإذن يكون قد أطرى المستمع بما فيه الكفاية منها "[3]

---

[1] راث كيمبسون : نظرية علم الدلالة السيمانطيقا ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار الأمان بالرباط ، ط أولى ١٤٣٠ه / ٢٠٠٩م ، ص ٥٧.

[2] راث كيمبسون : نظرية الدلالة ص ١٠٣ .

[3] راث كيمبسون : السابق ص ١٠٦ .

وعلى هذا فإن إيليا عندما أخل بمبدأ الكيف أراد أن ينقل لنا حالة الاضطراب التي يعانيها حين جاء في جملته التي تقول : فلم أجد في مخدعي إلا ضلالي والفراش ومخدعي " بما لا خلاف حول خطئه ، كما أراد أن يعبر عن الطرب أو السكر حين عكس ترتيب الكلمات أو نقل أماكنها في الدن والكأس .

الخاتمة

١- أخلص إيليا في بُغْض النُّحاة والنفور منهم ، ودعا إلى تجاهلهم على الرغم مِمَّا يظهر في شعره من إلمام بالنحو ومذاهبه ، ومعرفةٍ عميقةٍ بالتراث اللُّغوي ؛ ولذلك فإنَّ المكتبة تحتاج إلى دراسات ترصد نتائج هذه الدعوة في شعر من اقتفى أثر إيليا من شعراء مدرسة المهجر ، حتى نستطيع بناء فكرة واضحة عن مدرسة المهجر كلِّها ، لا عن واحدٍ فقط من شعرائها ، ولعلَّ هذا البحث أنْ يكون اللَّبِنَة الأولى في هذا المشروع العلمي .

٢- إنَّ ظهور الكلمات الجزلة القوية في شعر إيليا مع دفاع شعراء المهجر عن استخدام الكلمات السهلة الشائعة يؤيد ما ذهب إليه الباحثون من أنَّ شعراء المهجر يستعملون الألفاظ الجزلة حين تجود بها قرائحهم ، فإذا عُقِلت ألسنتهم وأمسكت عن الانطلاق بالألفاظ الجزلة لاذوا بالألفاظ التي انتشرت في لغة الحياة اليومية وتُرك استعمالها في الكتابات الرسمية عن قصورٍ وعجزٍ لا عن زهدٍ وإعراضٍ .

٣- الإلحاح على شعراء المهجر في اللوم لشيوع الألفاظ العادية المستخدمة في لغة الحياة اليومية في أشعارهم المهجر يرجع إلى التحرُّز من أن تتسبَّب تلك الألفاظ في أن تردَّ الشعر كلاما كغيره من الكلام الذي تفيض به لغة الحوارات اليومية ، غير أن ظهور بعض تلك الكلمات في الحديث النبوي والأثر يدعو إلى إعادة الاعتبار لها وإحياء استخدامها في الكتابات الفصيحة الرسمية فالصواب أن يخضع مقياس الفصاحة لما ورد في الحديث النبوي .

٤- حين أقرَّ أنصار شعر المهجر بوجود أغلاط في اللُّغة عند شعرائه وقيدوها بأنها قليلة استدلوا على ذلك بأمثلة لا تُؤكِّد التساهل اللغوي عند تحقيقها فقد استدلوا على سبيل المثال باستخدام إيليا لكلمة " غرابيب " بدلا من " غربان " على الرغم من أننا لا نعدم أثرا من هذا الاستخدام في الشعر القديم فقد استخدم الشاعر الأموي النابغة الشيباني وغيره من الشعراء كلمة " الغربيب " بدلا من " الغراب " .

٥- اتخذ إيليا من استعمال ما تتنازعه المذاهب النحوية وما ينتمي إلى الأبواب التي وصفها النحاة بأنها قليلة في الاستخدام أو نادرة أو شاذة وسيلةً لإظهار التميُّز وردًّا عمليا على مَنْ يلمز المهجريين بالانقطاع عن التراث اللغوي العربي أو عدم الإلمام به كما ظهر في استعماله لأبنية جموع لم ترد عليها إلا كلمة واحدة ولشواذ التصغير واستخدامه فعيل بمعنى فاعل بترك التأنيث وهو قليل ، ومجيء المصدر المؤول بحذف " أنْ" ورفع الفعل بعده إلى غير ذلك مِمَّا فصَّلته في ثنايا البحث .

٦- تجاوز إيليا قوانين اللغة في قليل من المسائل الصرفية فقد استخدم الكلمة الدخيلة أو المقترضة وأهمل الكلمة العربية التي تؤدي المعنى نفسه واستخدم اسم الفاعل في موضع الصفة المشبهة بما لا يتسق مع المعنى الذي أراد التعبير عنه وأدخل "أل" على كلمة " غير " التي يمتنع فيها ذلك ، كما ألحق التاء المربوطة بحرف الجر الشبيه بالزائد على خلاف القياس المتبع في الكتابة العربية ، وكسر همزة الفعل الثلاثي المزيد بتضعيف العين " إمَّن " وهي فاء الفعل على الوهم .

٧- وقع إيليا في بعض المخالفات الصرفية المقبولة مثل قطع همزات الوصل ووصل همزات القطع وكان ارتباط الرخصة بالحاجة إلى التخلص من عيوب الوزن داعيا إلى الاعتذار عنها ولم تكن الرغبة في المحافظة على الوزن سببا في كل الضرورات عنده إذ نراه لجأ لبعض الضرورات مثل مدّ الحرف استثمارا للإمكانات التعبيرية لتلك الأصوات وإيثارا لما يبرز معنى بعينه .

٨- خالف إيليا قواعد اللغة في عدد قليل من المسائل النحوية انتمى بعضها إلى الضرورات الشعرية مثل رفع الفعل في جواب الطلب ووجود تخريج لعدم الجزم لا يعني تساوي الاستعمالين فالمعنى على الجزم في المواضع التي ظهرت عند إيليا أجود ولكنه رفع ليستقيم له الوزن وجاء ذلك على حساب المعنى ، وخرجت بعض المسائل النحوية عن تلك الضرائر مثل رفع ما وجهه النصب على الحالية وكسر همزة " إنَّ " حيث يجب فتحها .

٩- فتحت النظريات الدلالية الحديثة أبوابا تجنبنا وصف بعض المعاني بالفساد أو اتهام الشعراء بالإحالة فلم بروا بأسا من أن يخلّ الشاعر بمبدأ الكيف لتوصيل رسالة تتجاوز المعنى الحرفي .

المراجع

أولا المراجع العربية :

- ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري :

١- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة الإسلامية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٣ه / ١٩٦٣م .

- د/ أحمد زكي أبو شادي :

٢- الشفق الباكي نظيم من شؤون وعواطف ، المطبعة السلفية بمصر ، ١٣٤٥ه / ١٩٢٦م .

- د/ أحمد المتوكل :

٣- قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان ، الرباط ، الطبعة الأولى ١٤٣٤ه / ٢٠١٣م .

- الإستراباذي ، رضي الدين محمد بن الحسن :

٤- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، القاهرة ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٢١ه / ٢٠٠٠م .

٥- ٥ - شرح شافية ابن الحاجب ، تحقيق : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢ه / ١٩٨٢م .

- الأشموني ، نور الدين علي بن محمد :

٦- شرح الأشموني المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق : أحمد محمد عزوز ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٣١ه / ٢٠١٠م .

- إيليا أبو ماضي :

٧- الأعمال الشعرية الكاملة ، جمع الشعر وقدَّم له د/ عبد الكريم الأشتر ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، الكويت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م .

- بربارة عبد الإله بوير :

٨- تحدي الأطفال مزدوجي اللغات ، ترجمة : كيتي سالم ، دار الفارابي ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠ه / ٢٠٠٩م .

- البغدادي ، عبد القادر بن عمر :

٩- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه د/ محمد نبيل طريفي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- تمام حسان :

١٠- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ م .

- الثمانيني ، عمر بن ثابت :

١١- شرح التصريف ، تحقيق : د/ إبراهيم سليمان البعيمي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩ه / ١٩٩٩م .

- جرير بن عطية الخطفي :

١٢- ديوان جرير ، شرح : د/ يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى .

- د/ بو جمعة بو بعيو :

١٣- موازنة بين شعراء المهجر الشمالي وجماعة أبولو ، دراسة في الخصائص الموضوعية والفنية ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، الطبعة الأول ١٩٩٥م .

- ابن جني ، أبو الفتح عثمان :

١٤- الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ١٤٣١ه / ٢٠١٠ م .

١٥- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩ه / ١٩٩٨م .

- الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله :

١٦- المستدرك على الصحيحين ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٢ه / ٢٠٠٢م.

- ابن الحداد الأندلسي :

١٧- الديوان ، جمعه وحققه وشرحه : د/ يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ه / ١٩٩٠ م .

- حسان بن ثابت :

١٨- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق : د/ سيد حنفي حسنين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، القاهرة ٢٠٠٨م .

- ابن حنبل ، أحمد بن محمد :

١٩- المسند ، رقم أحاديثه :محمد عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٣ه / ١٩٩٣م .

- أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف :

٢٠- تفسير البحر المحيط ، دراسة وتحقيق وتعليق : الشيخ : عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه / ٢٠٠١م .

- الخفاجي ، شهاب الدين أحمد :

٢١- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، المطبعة الوهبية ، مصر ، أوائل ربيع الثاني ١٣٨٣ه .

- راث كيمبسون :

٢٢- نظرية علم الدلالة السيمانطيقا ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، دار الأمان بالرباط ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ه / ٢٠٠٩م .

- الزبيدي ، السيد محمد مرتضى :

٢٣- تاج العروس ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر المحمية ، الطبعة الأولى ١٣٠٦ه .

- السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم :

٢٤- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط أولى ١٤١٧ه / ١٩٩٦م .

- سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر :

٢٥- الكتاب ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤٣٤ه / ٢٠١٣م .

- السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله :

٢٦- ما يحتمل الشعر من الضرورة ، تحقيق وتعليق د/ عوض بن حمد القوزي ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ه / ١٩٨٩م .

- د/ شكري السعدي :

٢٧- مقولة الحدث الدلالية في التفكير اللغوي بحث في الأسس الدلالية للبنى النحوية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى يونيو ٢٠١٣م .

- شكري الطوانسي :

٢٨- مستويات البناء الشعري عند محمد إبراهيم أبو سنة دراسة في بلاغة النص ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م .

- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد :

٢٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، حققه وخرج أحاديثه : لجنة التحقيق والبحث العلمي بدار الوفاء ، دار الوفاء - دار الأندلس ، الطبعة الأولى ١٤١٥ه / ١٩٩٤م .

- الصبان ، محمد بن علي :

٣٠- حاشية محمد بن علي الصبان على شرح علي بن محمد الأشموني لألفية ابن مالك ، رتبه وضبطه وصححه : مصطفى حسين أحمد ، دار الفكر للطباعة والنشر .

- د/ طه حسين :

٣١- حديث الأربعاء ، دار المعارف بمصر ، الطبعة العاشرة ، ١٩٧٦م .

- ابن عاشور ، محمد الطاهر :

٣٢- تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

- ابن عصفور ، أبو الحسن علي بن مؤمن :

٣٣- ضرائر الشعر ، تحقيق : السيد إبراهيم محمد ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ه / ١٩٨٠م .

٣٤- الممتع الكبير في التصريف ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .

- الفارسي ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار :

٣٥- كتاب الإيضاح ، تحقيق ودراسة : د/ كاظم بحر المرجان ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٦ه / ١٩٩٦م .

٣٦- المسائل الحلبيات ، تقديم وتحقيق : د/ حسن هنداوي ، دار القلم ، دمشق ، دار المنارة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ه / ١٩٨٧م .

- الفاسي ، أبو عبد الله محمد بن الطيب :

٣٧- فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح وفي أعلاه الاقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي ، تحقيق وشرح : أ . د / محمود يوسف فجال ، دار البحوث الإسلامية ، الإمارات العربية ، الطبعة الأولى ١٤٢١ه / ٢٠٠٠م .

- د/ فاضل السامرائي :

٣٨- معاني الأبنية في العربية ، دار عمار ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٨ه .

- د/ فخر الدين قباوة :

٣٩- تصريف الأسماء والأفعال ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ه / ١٩٨٨م .

- الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب :

٤٠- القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت .

- القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون :

٤١- كتاب الأمالي ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

- القزاز القيرواني :

٤٢- ما يجوز للشاعر في الضرورة ، تحقيق : د/ رمضان عبد التواب ، د/ صلاح الدين الهادي ، دار العروبة بالكويت ، دار الفصحى بالقاهرة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

- قيس بن الخطيم :

٤٣- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق : د/ ناصر الدين الأسد ، دار صادر بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

- د/ كمال نشأت :

٤٤- شعر المهجر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .

- المالقي ، أحمد بن عبد النور :

٤٥- رصف المباني في شرح حروف المعاني ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد :

٤٦- المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت.

- مجمع اللغة العربية :

٤٧- المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الخامسة " منقحة " ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

- د/ محمد التونجي :

٤٨- المعجم المفصل في تفسير غريب القرآن الكريم ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

- د/ محمد عبد العزيز الخضيري :

٤٩- السِّراج في بيان غريب القرآن ، الإدارة العامة للأوقاف ، إدارة الشؤون الإسلامية دولة قطر ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٩ه / ٢٠٠٨م .

- محمد على الأنس :

٥٠- قاموس اللغة العثمانية الدراري اللامعات ، جمعه ورتبه : محمد علي الأنس ، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، ١٣٢٠ه / ١٩٠٠م .

- د/ محمد مصطفى هدارة :

٥١- التجديد في شعر المهجر ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٧م .

- د/ محمد الهادي عياد :

٥٢- الكلمة دراسة في اللسانيات المقارنة ، مركز النشر الجامعي ، دار سحر للنشر ، تونس ، أكتوبر ٢٠١٠م .

- المرادي ، الحسن بن قاسم :

٥٣- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ، شرح وتحقيق : أ.د / عبد الرحمن علي سليمان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه / ٢٠٠١م .

٥٤- الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق : د/ فخر الدين قباوة ، أ / محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣ه / ١٩٩٢م .

- المعري ، أبو العلاء عبد الله بن سليمان :

٥٥- شرح اللزوميات ، تحقيق : منير المدني وآخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

- ابن منظور :

٥٦- لسان العرب ، نسقه وعلَّق عليه ووضع فهارسه : علي شيرى ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ه / ١٩٩٢م .

- ميخائيل نعيمة :

٥٧- في الغربال الجديد مقالات ورسائل نقدية ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٨م .

- النابغة الشيباني ، عبد الله بن المخارق بن سليم :

٥٨- ديوان نابغة بني شيبان ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

- د/ نادرة جميل السراج :

٥٩- دراسات في شعر المهجر : شعراء الرابطة القلمية ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة .

- د/ نظمي عبد البديع محمد :

٦٠- أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب دراسة تحليلية نقدية موازنة ، دار الفكر العربي .

- ابن هشام ، جمال الدين بن يوسف بن أحمد :

٦١- شرح قطر الندى وبل الصدى ومعه كتاب نهج التقى بتحقيق وإعراب شواهد قطر الندى لمحمد جعفر ، إبراهيم الكرباسي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م .

٦٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

- ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي :

٦٣- شرح المفصل ، عالم الكتب ، بيروت .

ثانيا المراجع الأجنبية :

Crystal David :

1- The Cambridge Encyclopedic of language , Cambridge university press , 1987.

Frawley, William J:

2- International Encyclopedia of linguistics , Oxford university press, 2003 .

Lyons, John :

3- Linguistic semantics an introduction , Cambridge university press , 1996.

Oxford university press:

4- Oxford wordpower , 10 edition , Oxford university press .

ثالثا الدوريات :

١- آلاء صادق الشريفي وآخرون : صورة المرأة في الشعر المهجري ، المجلة الدولية للبحوث الإسلامية والإنسانية المتقدمة ، ص ٢٩٦- ٣١٢، المجلد ٤ ، العدد ٣ مارس ٢٠١٤م.

٢- د / أحمد شفيق الخطيب : التنمية اللغوية ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ٢٥١- ٢٥٨ ، ع ١٠٢، ٢٠٠٤م .

٣- د / عبده الراجحي : علم اللغة والنقد الأدبي " علم الأسلوب " ، فصول مجلة النقد الأدبي ،ص ١١٥- ١٢٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، ربيع أول ١٤٠١ه / يناير ١٩٨١م .

٤- د/ عوض بن حمد القوزي : التعريب والتغريب ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ٧٥- ٨٨ ، ع ١٠٢، ٢٠٠٤م .

٥- د/ هدى فتحي عبد العاطي : جموع القلة في شعر البارودي وشوقي دراسة نحوية دلالية ، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية ، كلية الآداب ، جامعة كفر الشيخ ، العدد الأول ، ٢٠٠٩م .

٦- د/ يوسف عز الدين : وسائل الإعلام بين العامية والعجمة ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص ١٣٥- ١٤٥ ، ع ١٠٢، ٢٠٠٤م .

رابعا مراجع الشبكة الدولية للمعلومات :

1- www. Alarabimag . com / book Article / asp? Art .

جابر عصفور : عن المهجر والمنفى من منظور مختلف ، كتاب العربي ، كتاب ربع سنوي يصدر ملحقا لمجلة العربي ، وزارة الإعلام ، الكويت ، العدد ٩٠ ، ١٠/ ٢٠١٢م .